المقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله الأمين، وعلى ءاله وأزواجه وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدّين.

لقد اعتنى أنبياء الله تعالى، صلوات الله عليهم، أولَ ما اعتنوا بنشر العقيدة الإسلامية في ما بين الناس، ولم يتوانوا في تبليغ الوحي، وتحقيق الأمانة، وتأدية الرسالة، فجزاهم الله عنا خير الجزاء، علّمونا كيف نعمل في دنيانا الفانية، وكيف نزرع لآخرتنا الباقية.

العقيدة الإسلامية هي واسطة العقد في دين الإسلام، ومنشأ كل سعادة، وعنوان كل خير، وأساس الأعمال الصالحة كلها. وتعليم هذه العقيدة الإسلامية عمل كل الدعاة إلى الله بحق، وفخرهم وعزّهم، للصغار والكبار، للذكور والإناث، للأميين والمتعلمين، للمغمورين والمشاهير، للأبيض والأسود والأحمر والأصفر، وللقريب والبعيد، بكل الوسائل المتاحة، والطرائق الحديثة، عبر التعليم في المساجد والمصليات والخلايا والمراكز، والمدارس والثانويات والمعاهد والمهنيات والجامعات، والمؤتمرات والندوات واللقاءات والمحاضرات، ومن خلال التلفازات والإذاعات والصحف والمجلات والمنشورات والكتب والكتيّبات، وبالتقنيات الحديثة السريعة بالإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي ووسائط التعليم من بُعد (شُرُط وأفلام مصوَّرة وأقراص)...

لقد أُجيز كتاب «عقيدة المسلمين» من كلية أصول الدّين في جامعة الأزهر الشريف، وهو كتاب مختر مكثَّف نافع بأسئلته الإحدى والخمسين في ما يتعلق بالذي يجب على الإنسان اعتقاده في حق الله والأنبياء والعبادات والغيبيّات، وبالرد على بعض الشُّبَه التي يُثيرها بعض المشكّكين باسم الإسلام؛ جهلًا وفتنةً. ولعموم نفع الكتاب عمدنا إلى شرحه شرحًا لطيفًا مفيدًا لطلّب العلم، وعونًا للأساتذة والمدرّسين وناشري العلم، بمادّة مضبوطة محقَّقة مدعومة بالأدلة المُرشِدة.

يُجيب هذا الكتاب «شرح كتاب عقيدة المسلمين» على أهمّ الأسئلة التي تثار حول العقيدة الإسلامية، مع شَفْعها بالمُصوَّرات من كتب أهل الضلال المذبذَبين التائهين عن جادّة الصواب (مع وضِع عبارة: هذا الكتاب فيه ضلالات)، ومن كتب أهل الحقّ في التراث الإسلامي؛ توضيحًا وتنويرًا. والمصوَّرات (الوثائق) في آخر الكتاب، تصل إليها من خلال (**مصور رقم كذا**) وأصل المتن في الأعلى، والحواشي في الأسفل تحت الخط، وقياس الخط واحد.

اللَّهُمَّ اجعله خالصًا لوجهك الكريم، واجعله نفعًا عميمًا بفضلك يا أرحم الراحمين، يا أكرم الأكرمين.

والحمد لله على نعمة الإسلام، وكفى بها نعمة، والحمد لله أولًا وآخرًا، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه.

كيف يُؤخَذ علم الدّين

علم الدّين الضروري لا يؤخذ بالمطالعة من الكتب، لأنه قد يكون في هذه الكتب التي يطالعها الشخص دسٌّ وافتراء على الدّين، أو قد يَفهم منها أشياء على خلاف ما هي عليه عند السلف والخلف، على ما تناقلوه جيلًا عن جيل من الأمة، فيؤدّي عبادة فاسدة، أو يقع في تشبيه الله بخلقه والتمثيل والكفر والضلال.

وعلى كلٍّ، فليس ذلك سبيل التعلم الذي نهجه السلف والخلف، فلا يُؤخذ العلم إلا من أفواه العلماء. إذًا لا بدَّ من تعلّم أمور الدّين من عارف ثقة أخذ عن ثقة، وهكذا إلى الصحابة ψ، فالذي يأخذ الحديث من الكتب يُسمى صحفيًّا، والذي يأخذ القرءان من المصحف يسمى مصحفيًّا، ولا يسمى قارئًا، فالعلم قبل القول والعمل؛ وقال رسول الله ﷺ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بهِ خيرًا يُفقِّهْهُ في الدّينِ، إنَّما العِلْمُ بالتَّعلُّمِ**»[1]. الإسناد من الدّين، والرواية لا تكون إلا عن الثقات، لذا قال التابعي محمد بن سيرين رحمه الله: «إنَّ هذا العلم دِين، فانظروا عمَّن تأخذون دينَكم»[2] اهـ.

قال الحافظ اللغوي محمد مرتضى الزبيدي: «(واستماع العلم النافع) في دينه ودنياه و(في الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل) من الصلوات[3].

فقد روى أبو ذر جُنْدُب بن جُنَادَة τ عن النبي ﷺ: «يا أبا ذرٍّ، لَأَنْ تَغْدُوَ فتعلَّمَ آيةً مِنْ كتابِ اللهِ خيرٌ لكَ مِنْ أنْ تُصلِّيَ مائةَ ركعةٍ، ولَأَنْ تغدُوَ فتعلَّمَ بابًا منَ العلمِ عُمِلَ بهِ أو لم يُعمَلْ خيرٌ منْ أنْ تصليَ ألفَ ركعةٍ»[4]. أي من النوافل.

1() البخاري، **صحيح البخاري** (كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدّين، 1/ 39) (من دون لفظ «والفقهُ بالتَّفقُّهِ»). وبهذا اللفظ: «**يا أيُّها الناسُ، إنَّما العِلْمُ بالتَّعليمِ والفقهُ بالتَّفقُّهِ، ومَنْ يُرِدِ اللهُ بهِ خيرًا يُفقِّهْهُ في الدِّينِ**» في الطبراني، المعجم الكبير، (395/19).

2() مسلم، **صحيح مسلم** (المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدّين [...]، 12/1).

3() محمد مرتضى الزبيدي، **إتحاف السادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين**، 277/3.

4() ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، (كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب من تعلم القرءان وعلمه، 79/1).

س1: ما هو الفرض العيني من علم الدّين؟

يجب على كل مُكلَّف[1] تعلُّم قَدْر[2] لا يستغني عنه من العقيدة[3] والطهارة[4] والصلاة والصيام والزكاة[5] لمن تجب عليه، والحج على المستطيع، ومعاصي القلب واليد والعين وغيرها.

قال الله تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر: 9].

الحديث: «**طلبُ العلمِ فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ**[6]». البيهقي، **شُعب الإيمان** (195/3).

1() المكلَّف هو البالغ العاقل الذي بلغته دعوة الإسلام، أي: بلغه أصل الدعوة، ومعنى أصل الدعوة أن يَبْلُغَه «لا إله إلا الله محمد رسول الله» بلغةٍ يفهمها، فلا بد من اجتماع الأمور الثلاثة حتى يصير مكلَّفًا.

2() هناك قدْر من علم الدّين يجب على كل مسلم تعلّمه، فلا يجب على كل مسلم أن يتعلم كل العلوم الدّينية، مثل: أمر الميراث، وإنما ذلك من فروض الكفايات.

3() لا بد أن يتعلم معنى «لا إله إلا الله محمد رسول الله». فأول ما يجب على المكلف البالغ العاقل الذي سمع بدعوة الإسلام، أن يُحصِّل من علوم الشرع ما يصحّح به عَقْد توحيده، لكي لا يستهويه الشيطان بوساوسه، ثم يُحصِّل من العلوم ما يؤدّي به فرضه، ليكون بناء أمره على أساس محكم صحيح.

4() لا بد أن يتعلم ما هي النجاسة، وما يتعلق بأركان الوضوء ونواقضه، ومعرفة أحكام الاستنجاء.

5() الزكاة لا تجب عل كل مكلف، إنما تجب على من وجبت في ماله الزكاة، وإلا فتعلّمها فرض على الكفاية.

6() تاركُ تعلُّم علم الدّين الضروري فاسق مرتكب لكبيرة، وهذا الحديث ذكره الحافظ المزي وحكم بحسنه. السيوطي، **التنقيح في مسألة التصحيح**، ص25.

ورد في الحديث: «**مَنْ خرجَ في طلبِ العلمِ فهوَ في سبيلِ اللهِ حتى يرجعَ**». هذا حديث ثابت في جامع الترمذي (كتاب العلم عن رسول الله ﷺ، باب فضل طلب العلم، 386/4). المعنى أن الذي خرج في طلب العلم في بلده أو إلى غربة ثوابه كثواب الخارج في سبيل الله، والجهاد في سبيل الله درجة عالية من أعلى الدرجات، وقد جعل الله للمجاهدين في سبيله في الجنة مائة درجة، وما بين درجة ودرجة كما بين السماء والأرض. هذا الذي خرج يطلب علم الدّين مثاله كمثال هذا الذي خرج حاملًا سلاحه لوجه الله، ليقاتل أعداء الله، وذلك لأن علم الدّين سلاح يدافع به المؤمنُ الشيطانَ، ويدافع به شياطينَ الإنس، ويدافع به هواه.

* ولقد قيل: إنّ الشياطين اختلفوا فيما بينهم قالوا: مَن أشدّ علينا: العالم الفاسق أم العابد الجاهل؟ أبوهم إبليس قال لهم: العالم الفاسق أشدّ عليكم لأنه يعرف العقيدة.

* قال الإمام أبو الحسن الأشعري: «أول ما يجب على العبد العلم بالله ورسوله ودينه».اهـ. السبكي، **تشنيف المسامع، 323/4**.

س2: ما الحِكمة من خلق الجن والإنس؟

ليأمرهم الله بعبادته، قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}[1] [الذاريات: 56].

الحديث: «**حقُّ**[2] **اللهِ على العبادِ أن يَعْبُدوهُ ولا يُشرِكوا بهِ شيئًا**». الشيخان[3].

1() أي: لآمرهم بعبادتي، وليس معناه أن الله قدَّر لكل العباد أن يكونوا طائعين، قال تعالى: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا} [يونس: 99]. الطبري، **تفسير الطبري**، 244/4. النسفي، **تفسير النسفي**، 43/2، 43).

2() هذا أعظم حقوق الله على عباده، أن يؤمنوا به ويوحّدوه.

3() أي: البخاري ومسلم. البخاري، **صحيح البخاري**، (كتاب الاستئذان، باب من أجاب بلبيك وسعديك، 2312/5)، مسلم، **صحيح مسلم**، (كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعًا، 58/1). أما الشيخان في مذهب الشافعي فهما: الرافعي والنووي، والشيخان في الصحابة فهما: أبو بكر وعمر ﷺ.

* ورد في حديث صححه بعضهم، وضعفه ءاخرون، أن الله تعالى قال لآدم: «**لولا محمدٌ ما خلقتُكَ**». الحاكم، **المستدرك على الصحيحين**، (كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، 672/2). ومعناه خلقت الدنيا لأظهر محمدًا ﷺ صفوتها، أي: أشرف الخلق، فيفهم من هذا أنه يصح أن يقال: إن محمدًا هو سبب وجود الدنيا، وهذا تشريف. لكن لا يجوز أن يقال: إن نور محمد خُلق قبل كل شيء، والقول بأن حديث جابر المفتعل (أي المكذوب) والذي فيه: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر، خلقه الله من نوره قبل الأشياء»، صحَّ كشفًا. فهو كلام لا معنى له، لأن الكشف الذي يخالف حديث رسول الله ﷺ لا عبرة به، فقد ذكر علماء الأصول أنَّ إلهام الولي ليس بحجة. الزركشي، **تشنيف المسامع**، ص455، 456. لأن إلهام الولي قد يُخطئ. وهذا الحديث ركيك، والركاكة كما قال علماء الحديث: دليل الوضع. ابن الصلاح، **علوم الحديث**، ص 99.

س3: كيف تصحّ العبادة؟

تصح عبادة الله ممَّن يعتقد وجود الله ولا يشبّهه بشيء من خلقه[1]. قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: 11].

1() لا تكون عبادة الإنسان صحيحة إلا مع الإيمان، ودليل ذلك قوله تعالى: {وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا} [النساء: 124].

فالله تعالى جعل الإيمان شرطًا لا بد منه لصحة العمل، ثم لا بد من موافقة العمل للشريعة. ولا تصح العبادة إلا بعد معرفة المعبود، ومعنى معرفة المعبود أن يعتقد أن الله موجود لا كالموجودات، لا يشبه القمر ولا الضوء ولا الظلام، ليس حجمًا وليس جسمًا، لا يتحيز في السماء ولا العرش.

* جندب بن عبد الله τ قال: «كنا مع النبي ﷺ ونحن فتيان حزاورة، فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرءان، ثم تعلمنا القرءان فازددنا به إيمانًا». ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، (كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب في الإيمان، 1/ 23). قال الحافظ البوصيري: «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات».اهـ. البوصيري، **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، 1/ 120.

* وقال الإمام أبو حنيفة في الفقه الأبسط: «الفقه في الدّين أفضل من الفقه في الأحكام».اهـ.

* وقال الإمام أبو حنيفة في كتابه **الفقه الأكبر** عن التوحيد وعلم العقيدة والفقه الأكبر: «أصل التوحيد وما يصح الاعتقاد عليه».اهـ.

* وقال الإمام الأشعري: «أول ما يجب على العبد العلم بالله ورسوله ودينه».اهـ. السبكي، **تشنيف المسامع**، 323/4.

* وقال العلامة البياضي الحنفي: «فقد قال مشايخنا رحمهم الله تعالى: تعليم صفة الإيمان للناس وبيان فضائل أهل السُّنَّة والجماعة من أهم الأمور، وألّف السلف فيها تآليف كثيرة، كما في «سير الذخيرة» و«التتار خانية»، وأشار إليه بقوله: «إذا مال إلى الحق وعرف أهله كان لهم وليًّا»».اهـ. البياضي، **إشارات المرام**، ص23، 24. وهذا يدل أن أَوْلى العلوم تحصيلًا هو معرفة الله ورسوله ﷺ.

* ومما يجب معرفته على كل مكلف ثلاث صفة لله تعالى، وهي: الوجود والقدم والوحدانية والبقاء والقيام بالنفس والمخالفة للحوادث والقدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام. ذكر ذلك كثير من العلماء، ومنهم:

عبد المجيد الشرنوبي في «**شرح تائية السلوك**»، ص96 – 98.

أبو بكر الدمياطي المشهور بالسيد البكري في كتابه «**إعانة الطالبين**» (25/1، 26).

أحمد المرزوقي المالكي صاحب «**عقيدة العوام**»، ص6.

النووي في كتابه «**المقاصد**»، ص11، 12.

أبو حنيفة في «**الفقه الأكبر**»، (ص1 – 3).

ثم إنه لأهمية هذا العلم ألّف أهل العلم المؤلفات المتعددة في بيانه، ومنهم:

– الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي τ (المتوفى سنة 150هـ)، ألَّف خمس رسائل، وهي: **الفقه الأكبر، والرسالة، والفقه الأبسط، والعالم والمتعلم، والوصية**. وهو أول متكلمي أهل السُّنَّة من الفقهاء.

– وقد ألَّف أبو حنيفة τ «**الفقه الأكبر**»، و«**الرسالة**» في نصرة أهل السُّنَّة، إلى مقاتل بن سليمان صاحب التفسير، وكان مجسمًا، وقد ناظر فرقة الخوارج والقدرية والدهرية، وكانت دعاتهم بالبصرة، فسافر إليها نيّفًا وعشرين مرة، وقَضَّهُمْ بالأدلة الباهرة.

– الإمام الشافعي τ (المتوفى سنة 204هـ) صنّف كتاب «**القياس**»، ردَّ فيه على من قال بقِدم العالَم من الملحدين، وكتاب «**الرد على البراهمة**»، وغير ذلك.

.....

– المحدث نُعَيم بن حمَّاد الخُزاعي هو من أقران الإمام أحمد ﷺ (المتوفى في حبس الواثق سنة ﷺ ـهـ) صنَّف كتابًا في الردّ على الجهمية وغيرهم.

– المحدث محمد بن أسلم الطوسي (المتوفى سنة ﷺ ـهـ) من أقران الإمام أحمد ﷺ، صنف في الرد على الجهمية.

– الحارث المحاسبي (المتوفى سنة ﷺ ـهـ).

– الحسين الكرابيسي (المتوفى سنة ﷺ ـهـ) صاحب الإمام الشافعي τ.

– عبد الله بن سعيد بن كُلّاب المتوفى بعد الأربعين ومائتين هجرية بقليل.

– الإمام البخاري محمد بن إسماعيل (المتوفى سنة 256هـ) سيد المحدثين في زمانه، صنف كتاب «**خلق أفعال العباد**».

– الإمام أبو الحسن الأشعري إمام أهل السُّنَّة والجماعة τ (المتوفى سنة 324هـ).

– الإمام أبو منصور الماتريدي إمام أهل السُّنَّة والجماعة τ (المتوفى بقليل بعد أبي الحسن الأشعري).

– القاضي أبو بكر الباقلاني (المتوفى سنة 403هـ).

– الأستاذ أبو بكر بن فورك (المتوفى سنة 406هـ).

– أبو إسحاق الأسفراييني (المتوفى سنة 418هـ).

– الأستاذ أبو منصور عبد القاهر التميمي البغدادي (المتوفى سنة 429هـ) صنف «**أصول الدّين**» وغيره.

– إمام الحرمين عبد الملك الجويني (المتوفى سنة 478هـ).

– الغزالي أبو حامد (المتوفى سنة 505هـ).

– الحافظ ابن الجوزي (المتوفى سنة 597هـ)، ومن مصنفاته «**الباز الأشهب**».

– وغيرهم كثير كثير، وليس مرادنا بما ذكرنا إحصاءهم، فمن منّا يحصي نجوم السماء أو يحيط علمًا بعدد رمال الصحراء؟!

* ونحن نحمد الله تعالى على هذه العقيدة السنية التي نحن عليها، والتي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه ومن تبعهم بإحسان، والتي مدح الرسول ﷺ معتنقها فقال فيما رواه الإمام أحمد في مسنده، (335/4)، والحاكم في مستدركه، بسند صحيح، (كتاب الرقى والتمائم، 112/8): «**لَتُفتحنَّ القسطنطينيةُ، فلَنِعمَ الأميرُ أميرُها، ولَنِعمَ الجيشُ ذلك الجيشُ**». ولقد فتحت القسطنطينية بعد ثمانمائة عام، فتحها السلطان محمد الفاتح رحمه الله، وكان سنيًّا يعتقد أن الله موجود بلا مكان، ويحب الصوفية الصادقين، ويتوسل بالنبي ﷺ.

* وقد ألّف العالم المتكلم الفقيه محمد بن هبة الله المكي الحموي رسالة سماها «**حدائق الفصول**»، والتي اشتهرت فيما بعد باسم قصيدة أو عقيدة ابن مكي، وقد أهداها للسلطان يوسف صلاح الدّين رحمه الله، فأقبل عليها وأمر بتعليمها حتى للصبيان في المدارس، فسميت «**العقيدة الصلاحية**»، وقد كان صلاح الدّين عالمًا فقيهًا شافعيًّا، له إلمام بعلم الحديث، يحضر مجالس المحدثين، وله رواية عنهم، حفظ «**التنبيه**» في الفقه الشافعي.

الحديث: «**لا فِكْرَةَ فِي الرَّبِّ**[1]». السيوطي، الدّر المنثور.

1() البغوي، **تفسير البغوي**، 417/7. السيوطي، **الدر المنثور في التفسير المأثور**، **7**/622، معناه: حرام التفكير في ذات الله. يُرْوَى عن أبي بكر الصِّدِّيق τ أنه قال: [البسيط]

«العَجْزُ عن دَرَكِ الإدراكِ إدراكُ والبحثُ عن ذاتِهِ كفرٌ وإشراكْ»

اهـ. السبكي، **تشنيف المسامع**، 80/4.

* وقال أبو بكر الصِّدِّيق τ أيضًا: «الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلًا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته».اهـ. محمد مرتضى الزبيدي، **إتحاف السادة المتقين**، 71/2.

* وقال الإمام أبو سليمان الخطابي: «إن الذي يجب علينا وعلى كل مسلم أن يعلم، أن ربنا ليس بذي صورة ولا هيئة، لان الصورة تقتضي الكيفية، وهي عن الله وعن صفاته منفية».اهـ. البيهقي، **الأسماء والصفات 2011**، ص218، 219.

* ومن أسماء الله «المُصوِّر»، فلا يجوز أن يكون المصوِّر مصوَّرًا فيكون صورة، وذلك منفي عن الله تبارك وتعالى.

س4: لماذا أرسل الله الرسل؟

أرسل الله الرسل عليهم السلام ليعلموا الناس مصالح دينهم ودنياهم، ولدعوة الناس إلى عبادة الله وأن لا يشركوا به شيئًا[1].

قال تعالى: {فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ} [البقرة: 213][2].

الحديث: «أفضلُ ما قلتُ أنا والنبيونَ مِنْ قَبْلي لا إله إلا الله»[3] مالك، (موطّأ مالك كتاب القرءان، باب: ما جاء في الدعاء، 215/1، 216).

1() بعث الله الأنبياء، تعالى عليهم السلام رحمة للعباد، إذ ليس في العقل ما يُستغنى به عنهم، لأن العقل لا يستقلُّ بمعرفة الأشياء المنجية في الآخرة ففي بعثة الأنبياء مصلحة ضرورية لحاجتهم لذلك، فالله متفضل بها على عباده، فهي سفارة بين الحق تعالى وبين الخلق. والسبيل إلى معرفة النبي المعجزة، فما من نبي إلا وكانت له معجزة، ومعنى المعجزة العلامة الشاهدة التي تشهد أن هذا الإنسان الذي يقول عن نفسه إنه نبيٌّ: أنه نبي الله، وأنه صادق. وهي أمر خارق للعادة يأتي على وفق دعوى من ادعوا النبوة، سالم من المعارضة بالمثل صالحة للتحدي، لأنه لو كان كاذبًا في قوله: إن الله أرسله، لم يأت بهذا الأمر العجيب الخارق للعادة الذي لم يستطع أحد من الناس أن يعارضه بمثل ما أتى به، فثبتت الحجة عليهم، ولا يسعهم إلا الإذعان والتصديق، لأن العقل يوجب تصديق من أتى بمثل هذا الأمر الذي لا يستطاع معارضته بالمثل من قِبل المعارضين، فمن لم يُذعن وعاند يعد مهدرًا لقيمة البرهان العقلي. قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ} [الحديد: 25]. بالحجج والمعجزات. أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، 225/8.

2() كل الأنبياء على الإسلام. النسفي، **تفسير النسفي**، 177/1. وهذا فيه بيان أن الأنبياء والرسل مأمورون بالتبليغ، فالنبي مأمور بالتبليغ، كما أن الرسول مأمور بالتبليغ، وهذه الآية تدل على هذا المعنى، وبدليل حديث النبيﷺ: «**كانَ كلُّ نبيٍّ يُبعَثُ إلى قومِهِ خاصةً، وبُعثتُ إلى كلِّ أحمرَ وأسودَ**». مسلم، **صحيح مسلم**، (كتاب المساجد والصلاة، 1/ 370)، وليس المعنى أنه إذا استطاع أن يأمر غير قومه لا يأمرهم. وليس كل نبي رسولًا، ولكن كل رسول نبي.

* النبي: هو من أوحي إليه باتباع شرع مَن قبله من الرسل وأن يُبلّغ ذلك، ولا يصح قولهم: النبي من أوحي إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه. الرسول: أوحي إليه بنسخ بعض شرع مَن كان قبله من الرسل وأن يبلّغ ذلك.

3() دين جميع الأنبياء هو الإسلام، الحديث: «**الأنبياءُ إخوةٌ لعلَّاتٍ، أمَّهاتُهم شتَّى ودينُهم واحدٌ**». البخاري، **صحيح البخاري**، (كتاب أحاديث الأنبياء، باب {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} [مريم: 16]، 1270/3). الإخوة لعلات مَن كان أبوهم واحدًا وأمهاتهم مختلفة، وهنا في الحديث تشبيه الأنبياء بالإخوة لعلات، فقد بيّن ﷺ أن دينهم واحد وشرائعهم اختلفت.

* بعض الناس قالوا والعياذ بالله عن سيدنا ءادم: إنه ليس نبيًّا. والجواب: قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ} [آل عمران: 33] فاصطفاء ءادم في الآية هو من جنس اصطفاء نوح وءال إبراهيم وءال عمران، وإلا فكيف يسوغ استثناء ءادم من الاصطفاء بالنبوة والرسالة، كما هو حال من ذكروا في السياق عينه!

س5: ما معنى التوحيد؟

هو إفراد القديم من المحدَث، كما قال الإمام الجنيد[1]، ومراده بالقديم الله الذي لا بداية له، والمحدّث المخلوق.

قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيءٌ} [الشورى: 11].

1() القشيري، **الرسالة القشيرية**، ص3. معناه: لا تشابه بين الله وبين خلقه، الخالق لا يشبه المخلوق، فالله لا يشبه خلقه، لا يشبه القمر ولا الضوء ولا الظلام ولا يشبه الصور كلها، إنما هو خالق الصور فلا يتصف بالصورة. ولا يتصف بالحجم ولا بالجسم ولا بالمكان، ولا يجوز أن يتحيز في سماء أو عرش أو جهة من الجهات، كان قبل المكان، وبعد أن خلق المكان ما زال كما كان. فأيُّ صفة من صفات المخلوقين لا تليق بالله، التغير والتحول والانتقال من حال إلى حال لا يجوز عليه.

التحيز في الجهة والمكان لا يجوز على الله؛ بل الله تبارك وتعالى موجود قبل المكان بلا مكان، وبعد أن خلق المكان ما زال كما كان، فهو سبحانه يُغيّر في الخلق من غير أن يتغير.

* قال الإمام أحمد الرفاعي τ: «التوحيد وجدان تعظيم في القلب يمنع من التعطيل والتشبيه».اهـ. أحمد الرفاعي، **البرهان المؤيد**، 136.
* إن العلم بالله تعالى وصفاته أجلّ العلوم وأعلاها وأوجبها وأولاها، ويسمّى علم الأصول وعلم التوحيد وعلم العقيدة. وقد خص النبي ﷺ نفسه بالترقي في هذا العلم فقال: «**إنَّ أتقاكُم وأعلمَكُم باللهِ أنا**». البخاري، **صحيح البخاري**، (كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ: «**أنا أعلمُكم بالله**» [...]، 16/1). فكان هذا العلم أهم العلوم تحصيلًا، وأحقها تعظيمًا وتبجيلًا، قال تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} [محمد: 19] قدَّم الأمر بمعرفة التوحيد على الأمر بالاستغفار، لتعلق التوحيد بعلم الأصول، وتعلق الاستغفار بعلم الفروع. ويسمّى هذا العلم أيضًا مع أدلته العقلية والنقلية من الكتاب والسُّنَّة «علم الكلام».
* قال الإمام علي τ: «سيرجع قوم من هذه الأمة عند اقتراب الساعة كفارًا»، فقال رجل: يا أمير المؤمنين، كفرهم بماذا؟ أبالإحداث أم بالإنكار؟ فقال: «بل بالإنكار، ينكرون خالقهم فيصفونه بالجسم والأعضاء».اهـ. ابن المعلم، **نجم المهتدي**، 483/2.
* قال الإمام جعفر الصادق τ: «من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك، إذ لو كان على شيء لكان محمولًا، ولو كان في شيء لكان محصورًا، ولو كان من شيء لكان محدّثًا».اهـ. (أي: مخلوقًا) أحمد الرفاعي، **البرهان المؤيد**، ص19.
* قال الإمام أبو حنيفة τ: «لا يشبه [الله] شيئًا من الأشياء من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه».اهـ. أبو حنيفة، **الفقه الأكبر**، ص1.
* قال الإمام الشافعي τ: «من انتهض لمعرفة مدبره، فانتهى إلى موجود يتصوره بفكره فهو مشبه، ومن انتهى إلى التعطيل الصِّرْف [الخالص] فهو معطّل، ومن انتهى إلى موجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحِّد».اهـ. السبكي، **تشنيف المسامع**، ص643.
* قال الإمام أحمد بن حنبل τ: «من قال: الله جسم كالأجسام، كفر».اهـ. السبكي، **تشنيف المسامع**، ص648.
* قال الإمام أحمد بن حنبل τ: «الأسماء مأخوذة من الشريعة واللغة، وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم لِما له طول وعرض وسَمك وتركيب وصورة وتأليف، والله تعالى خارج عن ذلك كله، فلم يَجُز أن يسمى جسمًا لخروجه عن معنى الجسمية، ولم يجئ في الشريعة».اهـ. عبد الواحد التميمي، **اعتقاد الإمام المبجّل**. ص45.
* قال الإمام ذو النون المصري: «مهما تصورت ببالك فالله بخلاف ذلك».اهـ. ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، 404/17.
* قال الإمام أبو جعفر الطحاوي: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر».اهـ. الطحاوي، **العقيدة الطحاوية**، ص13.
* قال أبو الحسن البوشنجي: «التوحيد أن تعلم أن الله تعالى غير مُشبِهٍ للذوات ولا منفي الصفات».اهـ. القشيري. **الرسالة القشيرية**، 464/2.

الحديث: سُئل رسول الله ﷺ: أيُّ العمل أفضل؟ فقال: «**إيمانٌ باللهِ ورسولِهِ**». البخاري صحيح البخاري (كتاب الإيمان، باب: من قال إن الإيمان هو العمل، 16/1).

س6: تكلم على وجود الله.

الله موجود لا شك[1] في وجوده، موجود بلا كيف[2] ولا مكان ولا جهة لا يشبه شيئًا من خلقه، ولا يشبهه شيء من خلقه[3].

قال تعالى: {أَفِي اللهِ شَكٌّ} [إبراهيم: 10].

الحديث: «**كان اللهُ ولمْ يكنْ شيءٌ غيرُهُ**»[4]. البخاري، صحيح البخاري، (كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في قول الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: 27]، 789/3).

1() أي: لا ريب، وهذا العالم دليل على وجود الله. والعالم يشمل السماوات والأرض، وما جُعل في الأرض كالأنهار والبحار، وهذه الأشياء تدل على عظيم قدرة الله، لأنها لا تصح أن توجد من غير خالق؛ بل لا بد لها من خالق أوجدها بعد عدمها، وهو الله تبارك وتعالى.

2() كما قال سيدنا علي τ: «إن الذي أيَّن الأين لا يقال له أين وإن الذي كيَّف الكيف لا يقال له كيف».اهـ. الأسفراييني، **التبصير في الدّين**، ص162.

* وقال الإمام علي كرم الله وجهه: «كان الله ولا مكان، وهو الآن على ما عليه كان».اهـ. أبو منصور التميمي، **الفَرق بين الفِرق**، ص287.

* قال الإمام زين العابدين τ: «أنت الله الذي لا يحوك مكان».اهـ. مرتضى الزبيدي، **إتحاف السادة المتقين**، 380/4.

* قال الإمام أحمد الرفاعي τ: «غاية المعرفة بالله الإيقان بوجوده تعالى بلا كيف ولا مكان».اهـ. أحمد الرفاعي، **حِكَم الإمام الرفاعي**، ص8.

3() كما قال الإمام أبو حنيفة τ: «لا يوصف اللهُ تعالى بصفات المخلوقين».اهـ. أبو حنيفة، **الفقه الأبسط**، ص56.

4() معناه: الله تعالى أزلي لا بداية له، لأنه لو لم يكن قديمًا لكان محدَثًا، ولو كان محدَثًا لكان محتاجًا، والمحتاج لا يكون إلهًا.

* أهل الحق يرون الاستدلال على وجود الله تعالى بدليل عقلي، ولو كان إجماليًّا، واجبًا، وهذا الدليل الإجمال حاصل لكل مؤمن، ولو لم يعرف ترتيب هذا الدليل، كأن يقال: العالم متغيّر، وكل متغيّر حادث، فالعالم حادث، فلا بد له من محدِث، وهذا المحدِث هذا الموجِد هو الذي يُسمّى الله، فإن من نظر بعقله نظرًا صحيحًا يدله على ذلك. والقرءان أرشد إلى الاستدلال العقلي بعدة آيات، كقوله تعالى: {وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُون} [الذاريات: 21]، أي: أن في أنفسكم دليلًا على وجود الله. وذكر لذلك بعض علماء العقيدة مثالًا، وهو أن يقال: أنا كنتُ بعد أن لم أكن، وما كان بعد أن لم يكن فلا بد له من مُكوِّن، فأنا لا بد لي من مُكوِّن. ويُستنتَج من هذا القول أن ذلك المكوِّن لا يكون شبيهًا لي ولا لشيء ما من الحادثات التي هي مشاركة في الحدوث، وهذا المُكوّن هو المُسمَّى الله.

س7: ما معنى قوله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد: 4][1]؟

معناه: الإحاطة بالعلم، قاله الثوري[2] وأحمد[3].

قال تعالى: {وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ علْمًا} [الطلاق: 12].

الحديث: «**اربَعُوا**[4] **على أنفسِكُم فإنَّكم لا تَدْعُونَ أصَمَّ ولا غائبًا، إنَّما تَدْعُونَ سَميعًا قريبًا**»[5] الحديثَ: البخاري، صحيح البخاري، (كتاب القدر، باب: لا حول ولا قوة إلا بالله، 2437/6)، معناه: لا يخفى على الله شيء.

1() هناك آيات محكمات وآيات متشابهات، المحكمة معناها واضح جلي، كقوله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلٰه إِلَّا اللهُ} [محمد:19]. والله تعالى قال عن المحكم: {هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ} [ءال عمران: 7]، أي: الأصل الذي يرجع إليه. النسفي، **تفسير النسفي**، 237/1. والمتشابه يحتمل أكثر من معنى، فلا يجوز حمل الآيات المتشابهة على معنى مخالف للآيات المحكمة.

2() أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، 101/10.

3() اللالكائي، **شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة**، ص331.

4() اربعوا أي هوّنوا عليكم، لا تجهدوا أنفسكم.

5() تابع الحديث: «**أقربُ إلى أحدِكم مِن عُنُقِ راحلتِه**». أحمد، **مسند أحمد**، (402/4)، معناه: أعلم بكم.

* تحذير: الرسول ﷺ لا يعلم كل الغيب، الله تعالى أطلعه على بعض الغيب، لكن ليس كل الغيب.

قال الله تعالى: {قُل لَّا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمٰوٰتِ والْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ} [النمل: 65] وقال أيضًا: {قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ} [الأحقاف: 9] وقال أيضًا: {وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ} [التوبة: 101]، وفي صحيح البخاري (كتاب التفسير، باب {وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [المائدة: 117]، 1691/4) أنه يُؤخَذ ببعض أصحابه ذات الشمال يوم القيامة فيقول عليه الصلاة والسلام: «**أصحابي**»، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

* التحذير من اعتقاد وقع بعض الناس فيه، وهو قولهم: إن النبي ﷺ صلَّى على عبد الله بن أُبيّ المنافق، وهو يعلم نفاقه وكفره، والحق أن النبي ﷺ اعتقد أنه أسلم، وحكم على الظاهر، لأنه لا يعلم الغيب ولا ما في القلوب، فهو لا يعلم إلا ما علّمه الله.

س8: ما هو أعظم الذنوب؟

أعظم الذنوب الكفر[1]، ومن الكفر الشرك[2]، والشرك، معناه: عبادة غير الله.

قال تعالى حكاية عن لقمان: {يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ} [لقمان: 13][3].

الحديث: سُئل النبي ﷺ: أيُّ الذنوب أعظم؟ قال: «أنْ تَجْعَل للهِ نِدًّا وهوَ خَلَقَكَ». البخاري، صحيح البخاري، (كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة، باب: إثم الزناة، 2497/6)[4].

1()الكفر ثلاثة أنواع:

كفر قولي: كالذي يسب الله أو الأنبياء أو الإسلام.

كفر اعتقادي: كاعتقاد أن الله جسم أو روح أو أنه جالس على العرش أو أنه ساكن السماء أو أنه في جهة.

كفر فعلي: كإلقاء المصحف في القاذورات أو الدوس على المصحف.

2() ليس كل كفر شركًا، ولكن كل شرك كفر.

3() معناه: أشد الذنوب وأعظمها هو الكفر.

قوله تعالى: {والْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} [البقرة: 254]، معناه: أن الكفر هو أشد الظلم وأعلاه.

4() تتمة الحديث: سُئل ثمَّ أيّ؟ قال: «**وأنْ تقتلَ ولدَكَ مخافةَ أن يطعمَ معكَ**»، فسُئل: ثم أيّ؟ قال: «**أنْ تُزانِيَ حَليلةَ جارِكَ**». قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ} [الفرقان: 68].

س9: ما معنى العبادة؟

العبادة[1] أقصى غاية الخشوع والخضوع، كما قالها الحافظ السبكي[2].

قال تعالى: {لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء/٢٥].

1() العبادة في اللغة: نهاية التذلل، أُعبّدُ الطريق أذلّلها، وليس معناها مجرد الطاعة أو الاستغاثة أو التوسل أو مجرد النداء، كما تقول المشبهة نفاة التوسل. التوسل هو الطلب من الله حصول منفعة أو اندفاع مضرة بذكر اسم نبي أو ولي إكرامًا للمتوسَّل به. ولو كان معنى العبادة كما يقولون لكان كل من يرجو أو يطيع غير الله كافرًا.

ولو كان التوسل عبادة لغير الله لكان النبي على زعمهم يُعلّم الشرك.

2() وهاك نقولًا عن بعض اللغويين في تعريف العبادة:

الزَّجَّاج: «ومعنى العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع » اهـ. ابن منظور، لسان العرب، 273/3.

أبو القاسم الأصفهاني في المفردات: «العبادة غاية التذلل» اهـ. الراغب الأصفهاني، **المفردات في غريب القرءان**، 415/1.

الفيومي: «عبدت الله أعبده عبادةً، وهي الانقياد والخضوع » اهـ. الفيومي، **المصباح المنير**، ص 389.

الحافظ الفقيه النحوي المفسر علي بن عبد الكافي السبكي في تفسيره لقوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} [الفاتحة: 5]، أي: نخصّك بالعبادة التي هي أقصى غاية الخضوع والتذلل. السبكي، **فتاوى السبكي**، 10/1.

* والذي أدى بالوهابية إلى تكفير المسلمين المتوسلين بالأنبياء والأولياء هو جهلهم بمعنى العبادة السابق بيانه، فحملوا قوله تعالى حكاية عن المشركين: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر: 3] فحملوها على أهل الإيمان زورًا وبهتانًا.

س10: هل يأتي الدعاء بمعنى العبادة؟

نعم.

قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا} [الجن: 20]، معناه أعبد الله[1]، وقال تعالى: {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} [الجن: 18].

الحديث: «**إنَّ الدُّعاء هو العبادةُ**»[2]. البخاري، الأدب المفرد، (باب: فضل الدعاء، 185/1)، ومعنى العبادة هنا الحسنات.

1() أتت كلمة الدعاء هنا بمعنى العبادة. قوله تعالى: {ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ} [غافر: 60]، معناه: اعبدوني أثبكم على طاعتي. النسفي، تفسير النسفي، 218/3.

* إن جهل الوهابية بمعنى الدعاء الوارد في القرءان في مواضع كقوله تعالى: {يَدْعُو لَمَنْ ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ} [الحج: 13] وقوله تعالى: {وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ} [الأحقاف: 5] أدّى بهم ليظنوا أن هذا الدعاء هو مجرد النداء، ولم يعلموا أن معناه هنا العبادة التي هي غاية التذلل، فإن المفسرين قد أطبقوا على أن ذلك الدعاء هو عبادتهم لغير الله على هذا الوجه، ولم يفسره أحد من اللغويين والمفسرين بالنداء، لذلك صار هؤلاء يكفّرون من يقول: يا رسول الله أو يا علي أو يا جيلاني أو نحو هذا، في غير حالة حضورهم، في حياتهم وبعد وفاتهم، ظنًّا منهم أن هذا النداء هو عبادة لغير الله، ألم يعلم هؤلاء أن القرءان والحديث لا يجوز تفسيرهما بما لا يوافق اللغة، وماذا يقول هؤلاء فيما رواه البخاري في **الأدب المفرد**، باب ما يقول الرجل إذا خدرت رجله، 536/1. عن ابن عمر ﷺ أنه خَدِرَتْ رجله، فقيل له: «اذكر أحب الناس إليك»، فقال: «يا محمد»، فهل يكفرونه لهذا النداء أو ماذا يفعلون؟ وماذا يقولون في إيراد البخاري لهذا؟ هل يحكمون عليه أنه وضع في كتابه الشرك ليعمل به؟ وعلّق عليه ناصر الألباني أحد مراجع الوهابية بأنه ضعيف وليس شركًا، مع أن الألباني ليس من أهل التحقيق والعلم، وليس محدّثًا.

* الخدر مرض شبه التشنج، وليس ما يسمى عند العامة «التنميل».

2() معنى الحديث أن الدعاء الذي هو الرغبة إلى الله –كما عرّف بذلك علماء اللغة – فالدعاء من أعظم أنواع العبادة، بمعنى ما يتقرب به إلى الله، لأن الصلاة التي هي أفضل ما يُتقرب به إلى الله بعد الإيمان مشتملة على الدعاء، فهذا من العبادة التي هي أحد إطلاقَي لفظ العبادة في عُرف أهل الشرع، كإطلاقها على انتظار الفرج، وهذا الإطلاق راجع إلى تعريف العبادة العام الذي هو غاية التذلل، لأن العبد عندما يدعو الله تعالى راغبًا إليه، بما أنه خالق المنفعة والمضرة، فقد تذلل له غاية التذلل. ثم من المعلوم أن العبادة تطلق من باب الحقيقة الشرعية المتعارفة عند حملة الشريعة على فعل ما يتقرب به إلى الله، وقد وردت فيما صح عن رسول الله ﷺ بمعنى الحسنة، كقوله ﷺ: «**وأفضلُ العبادةِ انتظارُ الفَرَجِ**»، أي: من أفضلها، أي حسنة يتقرب بها إلى الله، وبهذا المعنى الصدقة والصيام وعمل المعروف والإحسان إلى الناس، وهذا شائع كثيرًا. أخرجه الترمذي في **السنن** (كتاب الدعوات، باب في انتظار الفرج وغير ذلك، 565/5)، والطبراني في **المعجم الكبير**، (10 /101).

س11: هل يأتي الدعاء بغير معنى العبادة؟

نعم.

قال تعالى: {لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا} [النور: 63][1].

1() من هذه الآية نستدل على أن الدعاء يأتي بمعنى غير العبادة، حُرّم نداؤه ﷺ: «يا محمد» في وجهه في حياته بعد نزول الآية المبينة أعلاه، وكان سبب تحريم ذلك أن قومًا جفاة نادوه من وراء حجراته: «يا محمد، اخرج إلينا»، فحرَّم الله تعالى ذلك في وجهه، تشريفًا له. النسفي، **تفسير النسفي**، 522/2.

* وأما توسل الأعمى الذي طلب من الرسول ﷺ أن يدعو له بالشفاء، فعلَّمه الرسول ﷺ أن يقول: «**اللَّهُمَّ إني أسألُك وأتوجَّه إليك بنبيِّنا محمدٍ نبيِّ الرحمةِ، يا محمدُ، إني أتوجَّه بكَ إلى ربّ عزَّ وجلَّ في حاجتي**»، فكان هذا دعاء في غير حضرة الرسول ﷺ، وفي حياته ﷺ. الطبراني، **المعجم الصغير**، (183/1، 184). الطبراني، المعجم الكبير، (17/9، 18).

س12: ما حكم نداء نبي أو ولي ولو كان غائبًا أو طلب شيء منه لم تَجْرِ به العادة؟

يجوز ذلك، لأن مجرد ذلك لا يعدُّ عبادة لغير الله، وليس مجرد قول: «يا رسول الله» إشراكًا بالله؛ وقد ثبت أن بلال بن الحارث المُزَنِي[1] أتى قبر النبي ﷺ عامَ الرَّمادة، أيام عمر τ، قال: «يا رسول الله، اسْتَسْقِ لأمتك فإنهم قد هلَكوا». البيهقي، دلائل النبوة، وغيره[2]، فلم يُنكر عليه عمر τ ولا غيره؛ بل استحسنوا فعله.

قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمً} [النساء: 64][3].

وثبت أن ابن عمر ﭫ قال: «يا محمد»[4] عندما خدرت رجله. البخاري[5]، الأدب المفرد، (باب ما يقول الرجل إذا خَدِرت رجله، 536/1).

1() بلال بن الحارث صحابي، وهو ثقة، ولو كان ذلك الفعل غير جائز لأنكره عمر τ وغيرُه من الصحابة، لكنهم استحسنوا فعله.

2() رواه البيهقي في **دلائل النبوة**، ص47، بإسناد صحيح، وابن أبي شيبة في **المصنَّف**، 117/11، وابن كثير في «**البداية والنهاية**»، 91/7، 92، وصرَّح بصحة سنده، وكذا الحافظ ابن حجر العسقلاني في «**فتح الباري**» 115/4.

3() ليس في هذه الآية تخصيص بأن يكون ذلك في حال حياته.

4() قوله: «يا محمد» معناه يا محمد، توجَّهْ لي إلى الله في شفائي من شلل رجلي، هذا استغاثة.

5() ونقله أيضًا:

1. النووي في «**الأذكار**»، ص260.
2. ابن السني في «**عمل اليوم والليلة**»، ص72.
3. المزي في «**تهذيب الكمال**»، 143/17.
4. ابن تيمية في «**الكلم الطيب**» ص173. (وهو زعيمهم في تحريم التوسل والتبرك).
5. ابن الجعد في مسنده، ص369.

* ءادم توسل بالنبي ﷺ مع أنه لم يكن قد خُلق. الحاكم، **المستدرك**، (كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، 672/2).

* من جملة الدليل على جواز طلب ما لم تَجْرِ به العادة بين الناس: ما رواه مسلم في **صحيحه** (كتاب الصلاة، باب فضل السجود والحث عليه، 253/1) من أن ربيعة بن كعب الأسلمي τ خدم رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ من باب حُب المكافأة: «**سَلْنِي**»، فطلب من رسول الله ﷺ أن يكون رفيقه في الجنة، قال له: «أسألك مرافقتك في الجنة»، فلم ينكر عليه رسول الله ﷺ، بل قال له من باب التواضع: «**أو غيرُ ذلك؟**»، فقال الصحابي: «هو ذاك»، فقال النبي ﷺ له: «**فأعِنّي على نفسِكَ بكثرةِ السُّجودِ**».

وكذلك سيدنا موسى υ حين طلبت منه عجوز من بني إسرائيل أن تكون معه في الجنة، لم ينكر عليها ذلك، روى ذلك عنه ابن حبان في **صحيحه**، (كتاب الرقائق، ذكر الخبر الدال على أن على المرء أن لا يتعاض عن أسباب الآخرة [...]، 67/2، 68).

فمِن أين لابن تيمية واتباعه أن يبنوا قاعدة باطلة فاسدة، قولهم: طلب ما لم تَجْرِ به العادة من غير الله شرك؟!

س13: بيّن معنى الاستعانة والاستعانة مع الدليل.

الاستغاثة هي طلب الغوث عند الضيق، والاستعانة أعم[1] وأشمل.

قال تعالى: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} [البقرة: 45][2].

الحديث: «**إنَّ الشمسَ تدنو يومَ القيامةِ حتى يبلغَ العرقُ نصفَ الأذنِ، فبيناهمْ كذلك استغاثُوا**[3] **بآدمَ ثمَّ بموسى ثمَّ بمحمدٍ** ﷺ». البخاري، **صحيح البخاري**، (كتاب الزكاة، باب من سأل الناس تكثرًا، 536/2).

وفي هذا دليل على أن الاستعانة[4] بغير الله جائزة، لكن مع اعتقاد أنه لا ضار ولا نافع على الحقيقة إلا الله.

1() الاستعانة تكون في حال الضيق وغير الضيق.

2() وكذلك في قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين دعوا الله متوسلين بصالح أعمالهم، ففرج الله عنهم الصخرة التي سدت فم الغار عليهم. البخاري، **صحيح البخاري**، (كتاب أحاديث الأنبياء، باب {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ} [الكهف: 9]، 1278/3). فإذا كان التوسل بالعمل الصالح جائزًا، فكيف لا يصح بالذوات الفاضلة؟!

3() الوهابي يقول: مجرد الاستغاثة غير جائزة. نقول: في الحديث: «**استغاثوا بآدمَ**».

والنبي ﷺ سمى المطر مغيثًا، قال: «**اللَّهُمَّ اسْقِنا غيثًا مُغيثًا**». أبو داود، **سنن أبي داود**، (كتاب الاستسقاء، باب رفع اليدين في الاستسقاء، 370/2، 371)، بالإسناد الصحيح، يعني بإذن الله يغيث.

إذا قيل: الأنبياء لا ينفعون بعد موتهم. نقول: موسى υ نفع أمة محمد ﷺ بعد موته. البخاري، **صحيح البخاري**، (كتاب الصلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، 134/1).

4() في الحديث: «**واللهُ في عَوْنِ العَبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيهِ**». مسلم، **صحيح مسلم**، (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرءان، 2074/4).

* أكّد الحافظ تقي الدّين السبكي أن التوسل والتشفّع والاستغاثة والتوجه والتجوّه بمعنى واحد. السبكي، **شفاء السقام**، ص383.

س14: تكلم على التوسل بالأنبياء.

يجوز التوسل بهم بالإجماع، والتوسل هو طلب جلب[1] منفعة أو اندفاع[2] مضرة من الله بذكر نبي أو ولي إكرامًا للمتوسَّل به، مع اعتقاد أن الله هو الضار[3]، والنافع على الحقيقة.

قال الله تعالى: {وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ} [المائدة: 35][4].

الحديث: الرسول ﷺ علَّم الأعمى أن يتوسل به، ففعل الأعمى في غير حضرة النبي ﷺ، فردَّ الله بصره إليه. الطبراني، **المعجم الكبير** (17/9، 18)، والصغير (183/1، 184)، وصحّحه[5].

1() مثال على جلب منفعة: اللَّهُمَّ ارزقني مالًا حلالًا، ارزقني أولادًا صالحين.

2() مثال على اندفاع مضرة: اللَّهُمَّ ارفع البلاء عن فلان.

3() الضار والنافع على الحقيقة هو الله، فنحن نتوسل بالنبي أو الولي، ولكن الطلب من الله. الله جعل الدنيا على الأسباب. والنبي ﷺ علمنا التوسل في حديث الأعمى، والله تعالى هو الذي أظهر المعجزات على أيدي الأنبياء، وهو الذي رد للأعمى بصره.

4() كل شيء يقرّبكم إلى الله فاطلبوه، يعني هذه الأسباب، اعملوا الأسباب فيُحقق الله لكم المسبَّبات، يحقق الله لكم مطالبكم بهذه الأسباب، معناه بالأعمال الصالحة، فإذا جاز التوسل بالمفضول جاز التوسل بالأفضل من باب أولى، لأن الأعمال الصالحة مخلوقة، والرسول ﷺ أفضل المخلوقات على الإطلاق.

5() ولفظ الحديث عند علماء الحديث يطلق على ما يرفع إلى النبي ﷺ وما يوقف على الصحابي، كما هو مقرر في كتب الاصطلاح. السيوطي، **تدريب الراوي**، 29/1.

وقد أطلق الإمام أحمد لفظ الحديث على أثر لعمر τ في الجبن الذي يأتي به المجوس، وكان من عاداتهم أن يستعملوا في الجبن أنفحة الميتة. ابن رجب، **جامع العلوم والحكم**، ص633.

* وممن صحح حديث الأعمى:

المنذري في «**الترغيب والترهيب**»، 272/1، 283.

وابن تيمية (المجسم) في كتابه المسمى «**قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**»، ص155، 156 (وهو المشهور في تحريم التوسل والتبرك).

والسخاوي في «**القول البديع**»، ص433 – 435.

* ورواه ابن ماجه في **السنن**، (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في صلاة الحاجة، 441/1، 442)، والحاكم في **المستدرك**، (كتاب صلاة التطوع، 458/1)، والترمذي في **السنن**، (كتاب الدعوات، باب 119، 569/5)، وغيرهم كثير.

* ورد في الحديث: «**حياتي خيرٌ لكم، ومماتي خيرٌ لكم، تُحدِثونَ ويُحدَثُ لكم، ووفاتي خيرٌ لكم، تُعرَضُ عليَّ أعمالُكم، فما رأيتُ من خيرٍ حمِدتُ اللهَ، وما رأيتُ مِن شرٍّ استغفرتُ لكم**». الهيثمي، **مجمع الزوائد**، (باب ما يحصل لأمته ﷺ من استغفاره بعد مماته، 9/24). والبزار، **مسند البزار**، (5/ 308 ، 309)، ورجاله رجال الصحيح.

فهذا الحديث حجةٌ في جواز التوسل بالرسول ﷺ في حياته وبعد مماته، في حضرته وفي غير حضرته، وليس الأمر كما يقول ابن تيمية، فإنه قال: لا يجوز التوسل إلا بالحي الحاضر. ابن تيمية، الكتاب المسمّى **قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة**، ص 155، 156. وبما أن الألباني يتبعه في هذا الشذوذ فقد طعن في القَدْر الموقوف من الحديث. الألباني، الكتاب المسمّى **التوسل أنواعه وأحكامه**، 83. ومنشأ

.....

هذا الخبط للألباني هو مجاوزته حدَّه، حيث لم يقف عند نصوص علماء الحديث أن من لم يبلغ مرتبة الحافظ ليس له التصحيح والتضعيف، وكذا الحكم بالوضع.

* ثم إن توسل الأعمى بالنبي محمد ﷺ بالصيغة التي علَّمه رسول الله ﷺ لم يكن بحضور الرسول ﷺ؛ بل ذهب إلى الميضأة فتوضأ وصلَّى ودعا باللفظ الذي علَّمه رسول الله ﷺ، ثم دخل على النبي ﷺ، والنبي ﷺ لم يفارق مجلسه، لقول راوي الحديث الصحابي عثمان بن حنيف τ: «فواللهِ، ما تفرَّقنا ولا طال بنا المجلس حتى دخل علينا الرجل وقد أبصر».اهـ.

ومما يدل أيضًا على أن توسل هذا الأعمى كان في غير حضرة النبي ﷺ، وأنه قال: «يا محمد» في غير حضرته، أنه قد ثبت النهي عن نداء الرسول محمد ﷺ باسمه في وجهه، وذلك بقوله تعالى: {لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا} [النور: 63] كما تقدَّم.

س15: تكلم على التوسل بالأولياء:

يجوز التوسل بهم، ولا يعرف في ذلك مخالف من أهل الحق، سلفًا وخلفًا.

عمر توسل بالعباس ﷺ قائلًا: «وإنا نتوسل إليك بعمّ نبيّنا ﷺ: البخاري **صحيح البخاري**، (كتاب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، 342/1)[1].

1() تَرْكُ سيدنا عمر τ للتوسل بالنبي ﷺ في ذلك الموضع ليس فيه دلالة على المنع، فقد ترك النبي ﷺ كثيرًا من المباحات، فهل دل تركه على حرمتها! فقد ذكر العلماء في كتب الأصول أن ترك الشيء لا يدل على منعه. قال ابن حجر العسقلاني عقب هذه القصة: «يُستفاد من هذه القصة استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة».اهـ. ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، 119/4.

وقد أراد سيدنا عمر τ بفعله ذلك أن يبيّن جواز التوسل بغير النبي ﷺ من أهل الصلاح ممن تُرجى بركته.

*كذلك الشافعي توسَّل بأبي حنيفة ﷺ بعد وفاته، فقد كان الشافعي يأتي قبر أبي حنيفة متبرِّكًا داعيًا الله بحاجة فلا يبعد الوقت حتى تقضى؛ ونص الشافعي: «إني لأتبرك بأبي حنيفة، وأجيء إلى قبره كل يوم [يعني زائرًا]، فإذا عرَضَت لي حاجة صليت ركعتين وأتيت إلى قبره وسألت الله الحاجة عنده، فما تبعد عني حتى تُقضى».اهـ. الخطيب البغدادي، **تاريخ مدينة السلام**، 445/1. والخطيب البغدادي هو الذي قيل فيه: إن المؤلفين في كتب الحديث دراية عِيالٌ على كتبه، السيوطي، **تدريب الراوي**، 93/1، 94.

س16: بيّن معنى حديث الجارية.

الحديث مضطرب[1]، ومَن جرى على تصحيحه فليس معناه عنده أن الله ساكن السماء.

1() المضطرب من الحديث: هو ما اختلف راويه فيه فرواه على وجه، ومرة على وجه ءاخر مخالف له، وبعبارة أخرى: هو ما اضطرب فيه راويان فأكثر، فرواه كل واحد على وجه مخالف للآخر. ثم الاضطراب قد يكون في المتن، وقد يكون في السند، وإنما يُسمى مضطربًا إذا تساوت الروايتان المختلفتان في الصحة، بحيث لم تترجح إحداهما على الأخرى، أما إذا ترجحت إحداهما بكون راويها أحفظ أو أكثر صحبة للمروي عنه أو غير ذلك من وجوه الترجيح، فإنه لا يطلق على الوجه الراجح وصف الاضطراب ولا له حكمه. والحكم حينئذٍ للوجه الراجح. والاضطراب موجب لضعف الحديث، لإشعاره بعدم ضبط راويه أو رواته.

* بيان اضطراب حديث الجارية: الحديث في مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحة، 381/1) أن رجلًا جاء إلى رسول الله ﷺ فسأله عن جارية له قال: قلت: يا رسول الله، أفلا أُعتِقُها؟ قال: «**ائتِني بها**»، فأتاه بها فقال لها: «**أينَ اللهُ؟**»، قالت: في السماء، قال: «**مَنْ أَنا؟**»، قالت: أنت رسول الله، قال: «**أعتِقْها فإنها مؤمنةٌ**»، فليس بصحيح لأمرين:

الأمر الأول: للاضطراب: لأنه رُوي بهذا اللفظ، وبلفظ «**مَنْ ربُّك؟**»، فقالت: الله، وبلفظ: «**أين الله؟**»، فأشارت إلى السماء، وبلفظ: «**أتشهدينَ أن لا إله إلا الله؟**»، قالت: نعم، قال: «**أتشهدينَ أنّي رسولُ اللهِ؟**»، قالت: نعم. زين الدّين العراقي، **شرح التبصرة والتذكرة، 290/1**.

الأمر الثاني: أن رواية «**أين الله؟**» مخالفة للأصول، لأن من أصول الشريعة أن الشخص لا يُحكَم له بقول: «الله في السماء» بالإسلام، لأن هذا القول مشترك بين اليهود والنصارى وغيرهم، وإنما الأصل المعروف في شريعة الله ما جاء في الحديث المتواتر: «**أُمرتُ أنْ أُقاتلَ الناسَ حتّى يَشهدوا أن لا إله إلا اللهُ وأنّي رسولُ اللهِ**». البخاري، صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب {فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وءَاتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} [التوبة: 5]، 17/1. مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، 53/1. رواه خمسة عشر صحابيًّا. المناوي، **فيض القدير**، 238/2، 239.

ولفظ رواية مالك في الموطأ (كتاب العتق والولاء، باب ما يجوز من العتق في الرقاب الواجبة، 1129/5): «**أتشهدينَ**» موافق للأصول.

* فإن قيل: كيف تكون رواية مسلم في صحيحه: «**أين الله؟**»، فقالت: «في السماء» إلى ءاخره، مردودة مع إخراج مسلم لها في كتابه. وكل ما رواه مسلم موسوم بالصحة؟

فالجواب: أن عددًا من أحاديث مسلم في صحيحه ردَّها علماء الحديث، ذكرها المحدّثون في كتبهم، كحديث (كتاب الإيمان، باب بيان أن من مات على الكفر فهو في النار [...]، 191/1) أن الرسول ﷺ قال لرجل: «**إنَّ أبي وأباكَ في النارِ**»، ضعَّفه الحافظ السيوطي. السيوطي، **الحاوي للفتاوي**، 214/2، 215. وحديث (كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، 2119/4) فيه أنه يُعطى كل مسلم يوم القيامة فداء له من اليهود والنصارى. ضعّفه البخاري، ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، 365/20. وكذلك (كتاب الصلاة، باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة، 299/1) حديث أنس: صلّيت خلف رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر ﷺ، فكانوا لا يذكرون «بسم الله الرحمن الرحيم»، ضعّفه الشافعي. البيهقي، **السنن الكبرى**، 75/2.

* فحديث الجارية على ظاهره باطل، لمعارضته الحديث المتواتر المذكور، وما خالف المتواتر فهو باطل إن لم يقبل التأويل، اتفق على ذلك المحدثون والأصوليون.

لكن بعض العلماء أوّلوه على هذا الوجه، قالوا: معنى «**أين الله؟**» سؤال عن تعظيمها لله، وقولها: «في السماء» عالي القدر جدًّ.

.....

وقد روى البخاري في **الصحيح** (أبواب المساجد، باب حج البزاق باليد من المسجد، 159/1) أن النبي ﷺ قال: «**إنَّ أحدّكم إذا قامَ في صلاتِهِ فإنَّه يُناجِي ربَّه – أو – إنَّ ربَّه بينَهُ وبينَ القبلةِ، فلا يَبْزُقَنَّ أحدُكم قِبَلَ قِبلتِهِ ولكنْ عنْ يسارِهِ أو تحتَ قدميهِ**». وهذا الحديث أقوى إسنادًا من حديث الجارية. وأخرج أحمد في مسنده (374/32) أيضًا عن أبي موسى الأشعري τ أن رسول الله ﷺ قال: «**اربعُوا على أنفسكم، فإنكم ما تَدْعُونَ أصمَّ ولا غائبًا، إنَّما تدعونَ سميعًا قريبًا، إنَّ الذي تدعُونَ أقربُ إلى أحدِكم مِن عُنُقِ راحلتِهِ**».

يُقالُ للمعترِض: إذا أخذت حديث الجارية على ظاهره، وهذين الحديثين على ظاهرهما، لَبطل زعمك أن الله في السماء، وإن أوّلت هذين الحديثين ولم تؤوّل حديث الجارية فهذا تحكُّمٌ – أي: بقول بلا دليل –، ويصدق عليك قول الله في اليهود: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} [البقرة: 85].

* وكذلك ماذا تقول في قوله تعالى: {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ} [البقرة: 115]؟ فإن أوّلته، فلمَ لا تؤوّل حديث الجارية؟! وقد جاء في تفسير هذه الآية عن مجاهد تلميذ ابن عباس: «قِبلة الله». ففسَّر الوجه بالقِبلة، أي: بصلاة النفل في السفر على الراحلة. الطبري، تفسير الطبري، 459/2.

* قال أبو حامد الغزالي: «وأنه سبحانه ليس مختصًّا بجهة ولا مستقرًّا على مكان».اهـ. الغزالي، قواعد العقائد، ص145.

وقول: «**أين الله**» سؤال عن المكانة لا عن المكان. معناه: ما اعتقادكِ من التعظيم في الله؟ وقولها: «في السماء»، أي: رفيع القدر جدًّا، ولا يجوز اعتقاد أن الرسول ﷺ سألها عن المكان، ولا اعتقاد أنها قصدت أن الله ساكن السماء.

قال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: 11].

الحديث: «**كان اللهُ ولم يكن شيءٌ غيرُه**». البخاري. **صحيح البخاري**، (كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: 27]، 789/3).

قال الإمام علي كرم الله وجهه: «لا يُقال: أين الله، لمن أيّن الأينَ». الأسفراييني، **التبصير في الدّين**، (ص162).

وقال أبو حنيفة في «الفقه الأبسط»: «كان الله تعالى ولا مكان، قبل أن يخلق الخلق، وكان الله تعالى ولم يكن أين ولا خَلْق ولا شيء».اهـ. أبو حنيفة، **الفقه الأبسط**[1].

1() أبو حنيفة، الفقه الأبسط، ص57.

س17: حكم ساب الله أنه كافر، بيّن ذلك مع الدليل.

نقل القاضي عياض الإجماع على أن ساب الله كافر، ولو كان غاضبًا[1] أو مازحًا أو غير منشرح الصدر.

قال تعالى: {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [التوبة: 65، 66][2].

الحديث: «**إنَّ الرجلَ لَيتكلَّمُ بالكلمةِ لا يَرى بها بأسًا يَهوِي بها سبعينَ خريفًا في النارِ**»[3]. الترمذي، **سنن الترمذي،** (كتاب الزهد، باب فيمن تكلم بكلمة يضحك بها الناس، 557/4).

1() القاضي عياض، **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، ص832. إذا قيل: إن كان غاضبًا لا يكفر. نقول: أنت تستدرك على الله، والقاعدة: كل شرط ليس في كتاب الله ولا في سُنَّة رسول الله فهو باطل ولو كان مائة شرط، كما ورد عن النبي عليه الصلاة والسلام. البخاري، **صحيح البخاري،** (كتاب البيوع، باب البيع والشراء من النساء، 756/2).

* الحديث: قال رجل للنبي ﷺ: يا رسول الله، أوصني، قال: «**لا تغضبْ**»، فردّد مرارًا، قال: «**لا تغضبْ**». البخاري، **صحيح البخاري،** (كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، 2267/5). فترك الغضب وصية رسول الله ﷺ، وليس عذرًا للكفر وسائر الحرام.

2() قال القرطبي: «قال القاضي أبو بكر بن العربي: لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جدًّا أو هزلًا، وهو كيفما كان كفرٌ، فإن الهزل بالكفر كفر، لا خلاف فيه بين الأمة».اهـ. القرطبي، **تفسير القرطبي**، 290/10. وقال النووي: «ولو غضب على ولده أو غلامه، فضربه ضربًا شديدًا، فقال رجل: ألست بمسلم؟ فقال: لا، متعمّدًا، كفر». النووي، **روضة الطالبين**، 68/10.

3() إذا قيل: ليس معناه أنه كفر، فالجواب: ما جاء في صحيح مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في شدة حر نار جهنم [...]، 2184/4) عن أبي هريرة τ قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمعنا وَجْبة (الوجبة بفتح الواو والموحدة بينهما جيم ساكنة: الهَدّة، وهي شدة صوت وقع الشيء الثقيل)، فقال النبي ﷺ: «**أتدرونَ ما هذا؟**»، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا حجرٌ رُميَ بهِ في النارِ منذُ سبعينَ خريفًا، فهوَ يَهوي في النارِ الآنَ، حتى انتهى إلى قعرِها**».

فإذا قيل: هل بمجرد وصوله إلى قعرها يكون من الكفار؟

نقول: الويل وادٍ في جهنم قعره أربعون عامًا، لا يصله عصاة المسلمين، كما رواه الحاكم في المستدرك، (كتاب التفسير، تفسير سورة المدثر، 551/2). فإذا كان لا يصل إلى أربعين سنة، فكيف إلى سبعين، وهي نهاية قعر جهنم، كما في حدث مسلم في صحيحه الآنف الذكر. وكذلك الله يقول في المنافقين: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِن النَّارِ} [النساء: 145] أي هناك مستقرهم، وهو خاص بالكفار، فلا يصله عصاة المسلمين. وهذا معناه أن العبد قد يتكلم بالكلمة الخبيثة المخرجة من الإسلام، وهو لا يعرف أنها تخرج من الإسلام؛ بل ولا يرى ذلك معصية.

* روى البخاري في الصحيح (كتاب الأدب، باب من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كمال قال، 2263/5) أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا قال الرجلُ لأخيهِ: يا كافرُ، فقد باءَ به أحدُهما**». فالتكفيرُ قد يكونُ بسببٍ شرعي، فلا حرج فيه، أي لا معصية فيه، أو يكون بنوع تأويل فلا يكفر. والتأويل معناه اعتمد على سبب في ذلك الشخص ظنّه مخرجًا من الإسلام، وهو في الحقيقة ليس مخرجًا من الإسلام وكان له نوع شبهة أي التباس، فإن المُكفِّر هنا لم يكفر، كما أن المكفَّر لم يكفر (مثاله الجاهل بحكم المنتحر). أما إن كفّر المسلم أخاه بلا تأويل فإنه يعود عليه وبال ذلك فيكفر هو أي المكفِّر.

س18: ما الدليل على جواز زيارة القبور؟

الحديث: «**زورُوا القبورَ فإنَّها تُذكّرُكُم بالآخرةِ**»[1]. البيهقي، **السنن الكبرى**، (كتاب الجنائز، باب زيارة القبور، 127/4، 128).

1() هذا الحديث ليس فيه تخصيص بالذكور.

* حديث: «**لعنَ اللهُ زوَّاراتِ القبورِ والمتَّخذينَ عليها المساجدَ والسُّرُجَ**». البيهقي، **السنن الكبرى**، (كتاب الجنائز، باب ما ورد في نهيهن عن زيارة القبور، 130/4، 131).

معنى «**المتخذينَ عليها المساجدَ**»: لا يجوز أن نبني مسجدًا على قبر لتعظيم هذا القبر بالصلاة إليه، حرام، يكون شبيهًا بعبادته، لو لم يقصد الشخص عبادة هذا القبر، لكن شبيه. والسُّرج الأضواء، فالذي يُشعِلُ الشمع مثلًا من أجل تعظيم هذه البقعة، لا بنية أن ينتفع بعض المسلمين الذين يكونون في هذا المكان للقراءة في المصحف أو كتاب علم أو كتاب ذِكر، إنما مجرد الإشعال في هذا المكان عندهم فيه خصوصية، لأن صاحب المقام على زعمهم يقضي لهم الحاجات، من أجل تعظيمهم لمقامه، ويزعمون أنه يدفع عنهم البلاء، هؤلاء فعلهم مردود غير مقبول عند الله، هؤلاء ملعونون، لأن هؤلاء والعياذ بالله كعبدة الأوثان الذين يعبدون الأحجار أو الأشجار، هؤلاء مثلهم. هذا منكر من المنكرات.

أما «**زواراتِ القبورِ**» فمعناه: النساء اللاتي يُكثرن من زيارة القبور. هذا قبل أن يُحِلّ الله زيارة القبور، لأن زيارة القبور كانت حرامًا على الرجال والنساء، ثم أحلّها الله تعالى فقال عليه الصلاة والسلام بعدما جاءه الوحي بالإذن: «**كنتُ نَهيتُكم عنْ زيارةِ القبورِ، ألَا فزُورُوها**». الحاكم، **المستدرك**، (كتاب الجنائز، 532/1). النهي الذي كان قبل أن تنزل الرخصة بالوحي من الله إلى الرسول ﷺ بالتحليل انتسخ. أما اتخاذ القبور مساجد وإشعال السرج، أي: الأضواء على القبور فبقي حرامًا.

* عند أبي حنيفة: زيارة القبور للرجال والنساء فيها ثواب. الشرنبلاني، **متن نور الإيضاح**، ص66 مجموعة علماء، **الفتاوى الهندية**، 429/5.

* عند الشافعي: للرجال سُنَّة، وللنساء جائزة (لكنها مكروهة). النووي، **المجموع شرح المهذب**ن 285/5. ومذهب أبي حنيفة في هذه المسألة أَوْلى بالعمل به، فالمرأة إذا لم تتزيَّن ولم تتعطَّر، وذهبت إلى قبر من يخصّها بقرابة أو لا يخصها، إنما هو قبر مسلم فلها ثواب، حتى في حال الحيض لو ذهبت فسلمت تسليمًا ولم تقرأ القرءان يجوز، ولها ثواب، لأن الحيض يمنع من قراءة القرءان، ولا يمنع من الاستغفار والصلاة على النبي ﷺ والتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل، ولا يمنع من دعاء الله تعالى.

* من بدع الوهابية تحريمهم الصلاة في مسجد فيه قبر، واحتجوا بحديث البخاري (كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي ﷺ [...]، 468/1) في الصحيح: «**لعنَ اللهُ اليهودَ والنصارى اتَّخَذُوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ**»، وفي قول عائشة رضي الله عنها: «ولولا ذلك لأبرزوا قبره»، تعني قبر رسول الله ﷺ. فالجواب عن احتجاجهم بهذا الحديث أن الحديث محمول على من يقصد الصلاة إلى القبر لتعظيمه، وهذا يتصور عن كان بارزًا غير مستور، وإلا فلا حرمة، وذلك بأن لا يقصد المصلي الصلاة إليه لتعظيمه، أو يكون مستورًا، فإنه إن لم يكن بارزًا لا يقصد بالصلاة إليه، أما مجرد وجود قبر في مسجد لم يقصده المصلي بالصلاة إليه فلا ينطبق عليه الحديث المذكور، ولذلك نصت الحنابلة على أن الصلاة في المقبرة مكروهة ولا تحرم، والوهابية يدَّعون أنهم حنابلة، وما أكثر ما يخالفون الإمام أحمدَ في الأصول والفروع! يكفي في عدم حرمة الصلاة في مسجد فيه قبر قول عائشة رضي الله عنها: «ولولا ذلك لأبرزوا قبره». ولم يخالف في ذلك أحد من العلماء المعتبرين في السلف والخلف. ومما يدل على عدم التحريم والكراهية إذا لم يكن بارزًا ما ورد بإسناد صحيح أن مسجد الخيف قُبر فيه سبعون نبيًّا، حتى إن قبر ءادم على قولٍ هناك قرب المسجد، وهو مسجد كان يُصلَّى فيه زمنَ الرسول ﷺ إلى وقتنا هذا، وهذا الحديث أورده الحافظ ابن حجر العسقلاني في «**المطالب العالية**» (175/7). وقال الحافظ البوصيري: «رواه أبو يعلى والبزار بإسناد صحيح».اهـ. البوصيري، **مختصر إتحاف السادة المهرة**، 347/1.

.....

وأما حديث صحيح مسلم (كتاب تلقين الموتى لا إله إلا الله، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه، 688/2). «**لا تُصلُّوا إلى القبور**» فهو محمول على اختلاف أحوال القبر على التفصيل السابق.

س19: كيف يكون الدخول في الإسلام؟

بالنطق بالشهادتين بنية الدخول في الإسلام وليس بقول: «أستغفر الله»[1]، أما قول الله تعالى إخبارًا عن نوح υ أنه قال: {فَقُلْتُ[2] اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ} [نوح: 10]، فمعناه: أن نوحًا طلب من قومه أن يدخلوا في الإسلام بالإيمان بالله ونبيّه نوح ليغفر الله لهم.

الحديث: «**أُمرتُ أنْ أُقاتلَ الناسَ حتّى يَشهدوا أن لا إله إلا اللهُ وأنّي رسولُ اللهِ**»[3] الحديثَ. متفق عليه (صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب {فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاة وَءَاتُوا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ} [التوبة: 5]، 17/1. مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، 53/1).

1() من وقع في الكفر إذا قال: «أستغفر الله» بنية الرجوع عن كفره قبل الشهادة زادة كفرًا، لأن القرءان أخبر أن الله لا يغفر للكافر وهو على كفره. قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ} [النساء: 48] فالذي يطلب المغفرة قبل أن يعود للإسلام يكون كذّب الله تعالى.

2() فإذا فعلتم ذلك يُكثر الله لكم المطر، ويمدّكم بالأموال والبنين، ويجعل لكم جنات وأنهارًا، ومن هذه الآية أخذ العلماء أن الاستغفار ينفع لأمور كثيرة، منها: الرزق، الذرية، نزول المطر، ونحو ذلك. النسفي، **تفسير النسفي**، 543/3.

3() هذا الحديث رواه نحو خمسة عشر من الصحابة، فهو حديث متواتر، وقد نصَّ على أن الدخول في الإسلام يكون بالشهادتين، وكذلك نصّ فقهاء المذاهب الأربعة، كالنووي الشافعي في «**روضة الطالبين**»، 283/8، والبهوتي الحنبلي في «**كشّاف القناع**»، 179/6.

س20: بيّن حكم مدح رسول الله عليه الصلاة والسلام.

جائز بالإجماع.

قال تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ} [القلم: 4]، قال تعالى: {وَعَزَّروهُ وَنَصرُوهُ} [الأعراف: 157][1] ومعنى عَزَّروه أثنوا عليه ومدحوه وعظموه.

الحديث: إن بعض النساء مدحن النبي عليه الصلاة والسلام بقولهن أمامه: [الرجز] يا حبَّذا محمدٌ مِن جارِ[2]. ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، (كتاب النكاح، باب الغناء والدف، 612/1). وثبت مدح أكثر من صحابي له كحسان بن ثابت، (مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب فضائل حسان بن ثابت τ، 1390/4)، والعباس τ، (السيوطي، **المقامة السندسية في النسبة المصطفوية**)، وغيرهما، والرسول ﷺ لم ينكر ذلك؛ بل استحسنه.

س21: تكلَّم على عذاب القبر.

1() هذه الآية فيها مدح للذين يمدحون الرسول ﷺ ويثنون عليه، يوقّرونه ويعظّمونه. الطبري، **تفسير الطبري**، 497/10.

2() عن أنس بن مالك τ أن النبي ﷺ مرَّ ببعض المدينة، فإذا هو بجوارٍ يضربن بدُفّهن ويتغنين ويقلن: [الرجز]

نحنُ جوارٍ مِن بني النَّجَّارِ يا حبَّذا محمدٌ مِن جارِ

فقال النبي ﷺ: «**اللهُ يعلمُ إنِّي لَأُحبُّكُنَّ**». ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، كتاب النكاح، باب الغناء والدف، 612/1.

قال الحافظ البوصيري في كتابه «زوائد ابن ماجه» (ص271): «إسناد أنس صحيح، ورجاله ثقات».اهـ.

* وثبت مدح الرسول ﷺ جماعةً في حديثين صحيحين:

أحدهما: حديث رواه الإمام أحمد في المسند (152/3) من حديث أنس بن ملاك τ أن الحبشة كانوا يزفنون (شبيه الرَّقْص) في مسجد رسول الله ﷺ ويقولون بكلام لهم: محمد عبد صالح.

ثانيهما: رواه البزار في **مسنده** (268/13، 269) أن الحبشة كانوا يزفنون بين يدي رسول الله ﷺ ويقولون: أبا القاسم طيّبًا. صححه الحافظ ابن القطان في كتابه «**إحكام النظر في أحكام النظر**»، ص436، 437.

* وروى الحافظ السيوطي (**المقامة السندسية في النسبة المصطفوية**، ص2) أن العباس بن عبد المطلب τ عم رسول الله ﷺ قال: قلت: يا رسول الله، إني امتدحتك بأبيات، فقال رسول الله: «**هاتِ، لا يفْضُضِ اللهُ فاكَ**»، قال: فأنشدتها، فذكر قصيدة أولها: [المنسرح]

مِن قَبلِها طِبتَ في الظِّلالِ وفي مُستودَعٍ حينَ يُخْصَفُ الوَرَقُ

وفي ءاخرها:

وأنتَ لمّا وُلدتَ أشرقتِ الأرضُ وضاءتْ بنورِكَ الأفُقُ

يجب الإيمان بعذاب القبر، وهو ثابت بالإجماع[1]، ومن أنكره كفر.

قال تعالى: {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}[2] [غافر: 46].

الحديث: «**استعيذوا باللهِ مِن عذابِ القبرِ**»[3]. البخاري، **الأدب المفرد**، (باب من ذكر عنده النبي ﷺ، 340/1).

1() الإجماع: هو اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ على مسألة دينية في عصر من العصور، فلا يدخل في الإجماع غيرُ المجتهد.

* قوله تعالى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى} [طه: 124] المراد بالذِّكْر هنا القرءان، كما هو ظاهر في تتمة الآيات {فَنَسِيتَهَا} [طه: 126]؛ أي: تركتها، وقوله: {وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسى} بطه: 126]؛ أي: تُترك من رحمة الله.

عُرف كون المراد بها عذاب القبر من الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ الذي فسَّر هذه الآية: {مَعِيشَةً ضَنكًا} [طه: 124] بعذاب القبر. ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، (كتاب الجنائز وما يتعلق بها مقدمًا أو مؤخرًا، باب ما جاء في الصبر وثواب الأمراض والأعراض، 127/4 وما بعدها). وفي هذا دليل على أن الميت في القبر بعد عود الروح إليه يكون له إحساس بالعذاب إن كان من المعذبين للكفر أو للمعاصي.

* ومن معاني النسيان في اللغة: الترك، أي: تترك من رحمة الله.

2() آل فرعون هم أتباع فرعون، وهي دليل على إثبات عذاب القبر. الفخر الرازي، تفسير **الفخر الرازي**، 74/27.

3() أحاديث عذاب القبر تواتر تواترًا معنويًّا، ومعنى التواتر المعنوي أن معنى الحديث تواتر عن رسول الله ﷺ، ورد في المسانيد والصحاح والسنن، وإن لم يرد باللفظ عينه، لكن المعنى متفق، فهذا تواتر معنوي.

س22: ما هو أول المخلوقات؟

أول المخلوقات الماء.

قال تعالى: {وجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ} [الأنبياء: 30][1].

الحديث: «**كلُّ شيءٍ خُلقَ منَ الماءِ**»[2]. ابن حبان، **صحيح ابن حبان** (كتاب الصلاة، ذكر إيجاب دخول الجنان للقائم في سواد الليل يتملَّق إلى مولاه، 421/3).

1() المراد الحي والجماد، وخُصَّ الحي بالذكر لشرفه على الجماد.

2() أبو هريرة τ قال للنبي ﷺ: يا رسول الله، إني إذا رأيتك طابت نفسي وقرّت عيني، فأنبئني عن كل شيء؟ فقال: «**كُلُّ شيءٍ خُلِقَ منَ الماءِ**».

* روى السدي عن جَمْع من أبناء الصحابة عن آبائهم عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنَّ اللهَ لم يَخْلُقْ شيئًا ممَّا خَلَقَ قبلَ الماءِ**». ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، 533/9. وروى البخاري في الصحيح (كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: 27]، 789/3) أن رسول الله ﷺ قال: «**كان اللهُ ولم يكن شيءٌ غيرُه، وكان عرشُه على الماءِ**».

* فإن قيل: أليس قال رسول الله ﷺ: «أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر، خلقه الله من نوره قبل الأشياء»؟ فالجواب: أنه يكفي في رد هذا الحديث كونه مخالفًا للأحاديث الثلاثة الصحيحة السابقة، وأما عَزْو هذا الحديث للبيهقي فغير صحيح، إنما ينسب إلى مصنف عبد الرزاق، ولا وجود له في مصنفه؛ بل الموجود في تفسير عبد الرزاق عَكْسُ هذا، فقد ذكر في تفسره (2/ 183) عن قتادة في شرح قوله تعالى: {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ} [هود: 7]: «هذا بدء خلقه قبل أن يخلق السماوات والأرض ».اهـ.

* وقال الحافظ السيوطي في «الحاوي» (311/1، 313) 100 «ليس له [أي حديث جابر] إسناد يعتمد عليه».اهـ. وهو حديث موضوع مكذوب جزمًا، وقد صرَّح الحافظ السيوطي بأنه لم يثبت، في شرحه على الترمذي، وأكد الشيخ الحافظ محدث عصره الشيخ أحمد بن الصديق الغماري الحكمَ عليه بالوضع في «**المُغير على الأحاديث الموضوعة في الجامع الصغير**» (ص52)، فهذا الحديث لم يصحّحه أحد من الحفاظ، لأن العبرة في التصحيح والتضعيف أن يكون من حافظ، وهذه القاعدة ذكرها الحافظ السيوطي في ألفيته في مصطلح الحديث، ص 8، فقال: [الرجز]

وخُـذْهُ حـيـثُ حـافـظٌ عـلـيـهِ نـصٌّ أو مِـن مُصـنَّـفٍ بجَـمْـعِـهِ يُخَـصّْ

* ومن المعلوم أن كلام الرسول ﷺ لا ينقض بعضُه بعضًا، وهذا الحديث الموضوع الجملة الثانية منه تنقض الأولى، وذلك لأن في الجملة الأولى «أول ما خلق الله تعالى نور نبيك»، جعل نور النبي ﷺ أول العالم والمخلوقات على الإطلاق، ثم هذه الجملة «خلقه من نوره قبل الأشياء» إن اعتبر أن معنى «من نوره»، أي: نور مخلوق لله على أن الإضافة إضافة الملك إلى المالك ليست إضافة صفة إلى موصوف، يكون المعنى أن أول المخلوقات نور خلقه الله ثم خلق منه نور محمد، فهذا يناقض الجملة الأولى، لأن الجملة تدل على أن نور محمد أول المخلوقات على الإطلاق، وهذه الجملة «خلقه الله من نوره قبل الأشياء» تدل على أن أول المخلوقات نورٌ خُلق منه نور محمد، فيكون نور محمد متأخرًا عن ذلك النور في الوجود، فلا يصح على هذا قول: «نور محمد أول المخلوقات على الإطلاق». وأما إن اعتبرت الإضافة التي في نوره إضافة الصفة إلى الموصوف فالبلية أشد وأكبر، لأنه يكون المعنى أن سيدنا محمدًا جزء من صفة الله وهذا إثبات البعضية لله، وذلك كفر، والله منزه عن البعضية والتركيب والتجزؤ.

س23: تكلم على أنواع البِدع، وما الدليل على وجود بدعة حسنة؟

البدعة لغةً هي كل ما أُحدِث على غير مثال سابق له، أما من حيث[1] الشرع فتنقسم إلى بدعة هدى وبدعة ضلالة.

قال تعالى: {وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ}[2] [الحديد: 27].

الحديث: «**مَنْ سَنَّ في الإسلامِ سُنَّةً حسنةً فلهُ أجرُه وأجرُ من عمِلَ بها مِن بَعدِه**»[3] الحديثَ. مسلم، **صحيح مسلم** (كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة [...]، 704/2).

وقد أحدث الصحابة[4] ومَن بعدهم كثيرًا من الأمور الحسنة في الدّين، وتلقَّتها الأمة بالقبول، كعمل المحاريب[5]، والأذان الثاني لصلاة الجمعة، وتنقيط المصحف[6]، وعمل المولد الشريف[7].

1() البدعة شرعًا: ما أُحدث مما لم يَرِد لا في القرءان ولا في الحديث.

* لما جمع عمر τ الناس على صلاة التراويح قال: «نِعْمَ البدعةُ هذه».اهـ. البخاري، صحيح البخاري (كتاب صلاة التراويح، باب في من قام رمضان، 707/2).

2() تلاميذ لعيسى υ تركوا الزواج تفرُّغًا للعبادة، وكان ذلك جائزًا في شريعة عيسى υ. الطبري، **تفسير الطبري**، 427/22. وهم لم يحرّموا هذا. وهو جائز في شرعنا.

3() جاء بعض أهل الصُّفَّة إلى النبي ﷺ فشكوا إليه أنه ليس عندهم الطعام ولا اللباس، فتمعَّر (تلوّن من الغضب) وجهُ الرسول ﷺ، فدعا الناس ثم خطب فيهم وحثّهم على الصدقة، فتصدقوا، فلما اجتمع الشيء الكثير عنده تهلَّل وجه الرسول ﷺ ثم قال: «**مَن سنَّ في الإسلامِ**» الحديثَ.

4() مما فعله الصحابة ψ:

في عهد أبي بكر τ جَمْع القرءان في بيت واحد عقب قتال المرتدين. البخاري، **صحيح البخاري**، (كتاب التفسير، باب {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُول مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة: 128]، 1155/4، 1156).

عمر τ جمع الناس للتراويح. السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص245.

في عهد عثمان τ كُتِبَ القرءان في نُسَخ، ووزَّعه عثمان في الأمصار، وزاد الأذان الثاني لصلاة الجمعة. السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، 280.

5() أحدث إنشاء المحاريب عمر بن عبد العزيز τ. **وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى**، ص370.

6() أحدثه أحد التابعين يقال له يحيى بن يعمر. ابن أبي داود السجستاني، **المصاحف**، ص141.

7() ذكر ذلك ابن كثير في «**البداية والنهاية**» (136/13، 137)، والذهبي في «**سير أعلام النبلاء**» (234/22 – 336)، وابن تيمية في الكتاب المسمّى «**اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**»، 126/2، وهذا ما نصَّه ابن تيمية: «فتعظيم المولد واتخاذه موسمًا قد يفعله بعض الناس ويكون له فيه أجر عظيم، لحسن قصده وتعظيمه لرسول الله ﷺ».اهـ. وللحافظ السيوطي رسالة سماها «حسن المقصد في عمل المولد» في «**الحاوي للفتاوى**» (181/1 – 189)، كما للحافظ السخاوي مدح وثناء على عمل المولد في «**الأجوبة المرضية**» (1116 – 1120).

.....

* قال الإمام الشافعي τ: «المحدثات من الأمور ضربان، أحدهما: ما أحدث مما يخالف كتابًا أو سُنّة أو إجماعًا أو أثرًا، فهذه البدعة الضلالة، والثانية ما أحدث من الخير ولا يخالف كتابًا أو سُنَّة أو إجماعًا، وهذه محدثة غير مذمومة».اهـ. البيهقي، **مناقب الشافعي**، ص469. ابن عساكر، **تبيين كذب المفتري**، ص97.

* قال الحافظ النووي: ««البِدعة بكسر الباء في الشرع هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله محمد ﷺ، وهي منقسمة إلى حسنة وقبيحة. وقال الشيخ أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام في آخر كتاب «القواعد»: «البدعة منقسمة إلى: واجبة ومحرمة ومندوبة ومكروهة ومباحة». قال: «والطريق في ذلك أن تعرض البدعة على قواعد الشريعة، فإن دخلت في قواعد الإيجاب فهي واجبة، أو في قواعد التحريم فمحرمة، أو الندب فمندوبة، أو المكروه فمكروهة، أو المباح فمباحة»». اهـ. النووي، **تهذيب الأسماء واللغات**، 22/1.

س24: تكلم على العمل بالسحر.

العمل بالسحر حرام.

قال تعالى: {مَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ} [البقرة: 102][1].

الحديث: «**اجتنبُوا السَّبْعَ المُوبقاتِ**»[2] قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: «**الشركُ باللهِ والسِّحرُ [...]**»[3]. مسلم، صحيح مسلم (كتاب الإيْمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، 92/1).

1() قال الله تعالى: {وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ} [البقرة: 102].

2() الموبقات، أي: المهلكات، والسحر منها.

3() لا يجوز اعتقاد أن القرءان يُستعمل للسحر، إنما بعض السحرة لهم طلاسم يستعينون بها بالشياطين، ثم يذكرون بعض الآيات أو جزءًا من الآيات ليوهموا الناس أنهم إنما يستعملون القرءان ليُقبِلوا عليهم، وهذا مُخْرِج من الدِّين.

* يناسب هنا التحذير من قصة الملَكين هاروت وماروت الباطلة المكذوبة، فالملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فهذان الملكان أُهبطا إلى الأرض ليعلما الناس السحر ليميز الناس بين المعجزة والسحر، في زمن انتشر فيه السحر، فليس صحيحًا أنهما شربا الخمر وزنيا وكان من ذلك أولاد بالحرام. والتحذير من قول بعض الناس: «إبليس مُعلِّم الملائكة»، وقولهم: «إنه طاووس الملائكة»، فإن هذا مدحًا له وخفضًا للملائكة، وهاتان العبارتان ظاهرتا الفساد. إبليس كفر باعتراضه على الله. قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ} [البقرة: 34].

س25: ما الدليل على أن من رمى ورقة فيها اسم الله في القاذورات يكفر؟

لا يجوز رمي ورقة فيها اسم الله في المستقذر، والذي يفعل ذلك يكفر، لأن فعله يدل على الاستخفاف. قال تعالى: {قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ (65) لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ} [التوبة: 65، 66]، وقال ابن عابدين[1]: «يكفر من رمى المصحف في القاذورات ولو لم يقصد الاستخفاف، لأن فعله يدل على الاستخفاف».اهـ.

1() ابن عابدين، **رد المحتار على الدر المختار**، الحاشية، 356/6.

* القول المعتمَد هو أن من رمى الورقة التي فيها اسم الله في المستقذر يكفر ولو لم يقصد الاستخفاف، وهذا قول المتحقّقين من العلماء. وقال بعض العلماء: إذا رمى اسم الله في القاذورات على وجه الاستخفاف كفر، أما إذا لم يكن على وجه الاستخفاف فلا يكون ردة، إنما حرام، هذا في غير المصحف، فإنَّ رمي المصحف في القاذورات كفر؛ لأنه يدل على الاستخفاف. وقال المالكية في كتبهم: ترك ورقة في القاذورات [أي: وجدها أحدهم هناك] مكتوب فيها قرءان استخفافًا ردة وكفر، أما الذي يتركها ليس للاستخفاف بها؛ بل يعتقد أن لها حُرْمة، لكن تركها تكاسلًا فإنه لا يكفر، ولكنه أثم إثمًا كبيرًا. الدسوقي، **حاشية الدسوقي**، 301/4.

س26: ما حكم النذر؟

يجوز النذر فيما هو قربة إلى الله، ويجب الوفاء به، أما ما هو محرّم فلا يجوز ولا يجب الوفاء به.

قال تعالى: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ} [الإنسان: 7][1].

الحديث: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطيعَ اللهَ فلْيُطِعْهُ، ومَنْ نَذَرَ أنْ يَعصيَهُ فلا يَعْصِهِ**». البخاري، **صحيح البخاري**، (كتاب الأَيْمان والنذور، باب النذر في الطاعة، 2463/6).

1() النذر: النذر: كل لفظ فيه إلزام النفس، كقوله: لله عليَّ أن أفعل كذا أو نذرت أو نذرًا عليّ.

والنذر لا يكون إلا في الطاعة، فلا يلزم النذر على ترك مباح، كقوله: لا ءاكل لحمًا ولا أشرب لبنًا وما أشبه ذلك. أبو شجاع، **متن أبي شجاع**، ص 44، 45.

هذا مدح للذين يوفون بالنذر، النذر الذي يحبه الله هو الذي يكون فيه تقرب إلى الله تعالى، والله تعالى يحب الوفاء بالنذر إذا كان ذلك النذر في ما يحب الله تعالى من نوافل العبادات كالصدقة، صدقة التطوع وصيام النفل وصلاة النفل والاعتكاف في مسجد وحج التطوع حج النفل، النذر في ذلك يصح ويجب الوفاء به. كذلك سائر القربات النافلة أي كل شيء فيه تقرب إلى الله، مَن نذر أن يفعله وجب عليه أن يفعله، فإذا لم يفِ بنذره فهو ءاثم عند الله، فعليه عقوبة يستحق عذابًا من الله تعالى في الآخرة.

فالنذر قسمان: نذر فيه ثواب يجب الوفاء به، ونذر فاسد فيه معصية لا يُوفى به ولا يُنفَّذُ، لا يجوز الوفاء به. ومن النذر الذي هو معصية ما يفعله بعض الناس في بعض البلاد، تنذر المرأة أن تشحذ من الناس من أجل ولدها، تنذر فتدور على الناس لتلُمَّ، وهذا حرام؛ لأن الشحاذة لا تجوز إلا لضرورة، الإنسان الذي لا يجد ما يكفيه لقُوْته أو للباسه الضروري يجوز أن يشحذ، أما إنسان يشحذ لغير ذلك كهذه القضية فحرام، هذا من نوع النذر المحرم.

س27: ما الدليل على أن صوت المرأة ليس بعورة؟

قال تعالى: {وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا} [الأحزاب: 32].

قال الأحنف بن قيس: «سمعت خطبة أبي بكر الصِّدِّيق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب ψ والخلفاء هلم جرًّا إلى يومي هذا، فما سمعت الكلام من فم مخلوق أفخم ولا أحسن منه في [فم] عائشة ﵂».اهـ. الحاكم، **المستدرك**، (كتاب معرفة الصحابة، 12/4)[1].

1() المرأة الفقيهة عندما كلَّمت عمر τ قالت له: ليس لك ذاك يا أمير المؤمنين... فلو كان صوت المرأة عورة لما كلمته ولأنكر عليها عمر وأسكتها. البيهقي، **السنن الكبرى**، 380/7.

* النبي ﷺ دخل مع بلال الحبشي ﷺ إلى المصلى حيث تجتمع النساء في العيد فحضهن على الصدقة، بعض النسوة كلَّمته، وكان بلال حاضرًا، والنبي ﷺ لم يطلب منه الخروج. فلو كان سامع صوت الأجنبية حرامًا لأخرجه عليه الصلاة والسلام أو أسكتها. البخاري، **صحيح البخاري**، (كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، 531/2).

* القول المعوَّل عليه في المذاهب الأربعة في صوت المرأة أنه ليس بعورة. وكيف يقال إنه عورة، وقد ثبت في الحديث أن الرسول ﷺ رخَّص لجارية في الغناء (أي: تنشد نشيدًا من غير آلات اللهو المحرَّمة)، عند إهداء العروس إلى زوجها. روى البخاري في الصحيح (كتاب النكاح، باب النسوة اللاتي يهدين المرأة إلى زوجها ودعائهن بالبركة، 1980/5) عن السيدة عائشة﵂ أنها زفَّت امرأة إلى رجل من الأنصار، فقال نبي الله ﷺ: «**يا عائشةُ، ما كان معكُم لهوٌ، فإنَّ الأنصارَ يُعجِبُهمُ اللَّهْوُ**». وفي رواية الطبراني في المعجم الأوسط (3/ 315) أنه قال: «**فهل بعثتُم معها جاريةً تضربُ بالدّفِّ وتُغنّ**». قالت عائشة: تقول ماذا؟ قال رسول الله ﷺ: [الهزج]

أتيناكُمْ أتيناكُمْ فحَيُّونا نُحَيِّيكُمْ
ولولا الذَّهبُ الأحمرُ [م] ما حَلَّتْ بِوادِيكُمْ
ولولا الحِنْطةُ السَّمراءُ [م] ما سَمِنَتْ عذاريكُمْ

رواية الطبراني هذه صحيحة، ومعنى الجارية في اللغة الفتاة.

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني في **فتح الباري** (406/23): «وفي الحديث [يعني: حديث مبايعة النساء بالكلام] أن كلام الأجنبية مباح سماعه، وأن صوتها ليس بعورة».اهـ.

* وذكر النووي في **شرح صحيح مسلم** (16/13) في شرح حديث كيفية بيعة النساء: «وفيه أن كلام الأجنبية يُباح سماعه عند الحاجة، وأن صوتها ليس بعورة».اهـ.

س28: تكلم على صفة الكلام لله تعالى.

الله يتكلم لا ككلامنا، كلامه ليس حرفًا ولا صوتًا ولا لغة.

قال تعالى: {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}[1] [النساء: 164].

قال الإمام أبو حنيفة في «**الفقه الأكبر**»[2]: «ويتكلم لا ككلامنا، ويسمع لا كسمعنا، ونحن نتكلم بالآلات[3] والحروف، والله تعالى يتكلم بلا آلة ولا حروف».اهـ.

1() في هذه الآية: التأكيد بالمصدر، وفيه رفع احتمال المجاز، فلا يحتمل أن الذي تكلَّم غير الله.

2() أبو حنيفة، **الفقه الأكبر**، ص2.

3() الآلات هي التي جعلها الله لنا من أضراس وأسنان ولسان وشفتين ونحوها، أما الله تعالى فيتكلم بلا آلة ولا حرف.

كلام الله الذي هو صفة ذاته قديم أزلي لا ابتداء له، وما كان كذلك فلا يكون حرفًا وصوتًا، القرءان والتوراة والإنجيل والزبور وسائر كتب الله إن قُصد بها الكلام الذاتي فهي أزلية ليست بحرف ولا صوت، وإن قُصد بها اللفظ المنزل الذي بعضه بلغه العرب وبعضه بالعبرانية وبعضه بالسريانية فهو حادث مخلوق لله، لكنها ليست من تصنيف ملك ولا بشر، فهي عبارات عن الكلام الذاتي الذي لا يوصف بأنه عربي ولا بأنه عبراني ولا بأنه سرياني، وكلٌّ يُطلَق عليه كلام الله، أي: أن صفة الكلام القائمة بذات الله يقال له: كلام الله، واللفظ المنزل هو عبارة عنه، يقال له: كلام الله، فتبيَّن أن القرءان له إطلاقان:

الأول: إطلاقه على الكلام الذاتي الذي ليس هو بحرف ولا صوت ولا لغة عربية ولا غيرها.

الثاني: إطلاقه على اللفظ المنزَّل الذي يقرؤه المؤمنون.

وتقريب ذلك أن لفظ الجلالة «الله» عبارة عن ذات أزلي قديم أبدي، فإذا قلنا: نعبد الله، فذلك الذات هو المقصود، وإذا كُتب هذا اللفظ فقيل: ما هذا؟ يقال: «الله»، بمعنى: أن هذه الحروف تدل على ذلك الذات الأزلي الأبدي، لا بمعنى أن هذه الحروف هي الذات الذي نعبده، فصفة الكلام أزلية أبدية لا يجوز أن تكون حرفًا أو صوتًا، لأن الحرف والصوت مخلوقان بالمشاهدة، فكما أن صفاته من العلم والقدرة والإرادة وغير ذلك أزلية قديمة، كذلك كلامه الذاتي أزلي قديم ليس حرفًا ولا صوتًا، وذلك لأنه سبحانه مباين (أي: غير مشابه) لجميع المخلوقات في الذات، أي: ذاته لا يشبه ذوات المخلوقات، والصفات، فصفاته لا تشبه صفات المخلوقات.

* من كلام أهل العلم:

1- قال الشيباني في **شرح الطحاوية** (ص 17، 18): «والحرف والصوت مخلوق، خلقه الله تعالى ليحصل به التفاهم والتخاطب لحاجة العباد إلى ذلك [أي: الحروف والأصوات] والبارئ I وكلامه مستغنٍ عن ذلك، [أي: عن الحروف والأصوات] وهو معنى قوله: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر».اهـ.

2- قال ابن هبة الله المكي الحموي في **حدائق الفصول وجواهر العقول** (ص12): [الرجز]

«وقُلْ لِمَنْ قد كيّف الكلاما ... بالحَرْفِ والصَّوْتِ معًا سَلاما

فإنَّهُمْ قد كابَرُوا العِيانا ... وخالفُوا الدَّليلَ والبُرْهَانا».اهـ.

* من الدليل على أن اللفظ المنزل المتألف من الحروف لا يجوز أن يكون كلام الله الأزلي القائم بذاته، ما ثبت أن الله تعالى يكلم كل فرد من أفراد العباد يوم القيامة، فلو كان الله تبارك وتعالى يكلمهم بصوت وحرف لم يكن حسابه لعباده سريعًا، والله تبارك وتعالى وصف نفسه بأنه سريع الحساب. ولو كان كلام الله تعالى بحرف وأصوات لكان أبطأ الحاسبين، وهذا ضد الآية التي فيها أن الله أسرع الحاسبين

.....

قال الله تعالى: {ثُمَّ رُدّوا إِلَى اللَّهِ مَولاهُمُ الحَقِّ أَلا لَهُ الحُكمُ وَهُوَ أَسرَعُ الحاسِبينَ} [الأنعام: 62] فلا يتحقق معنى أسرع الحاسبين إلا على مذهب أهل السُّنَّة أن الله متكلم بكلام أزلي بغير حرف وصوت.

* قال ملا علي القاري في «**شرح الفقه الأكبر**» (ص95): «وقد ذكر المشايخ رحمهم الله تعالى أنه يقال: القرءان كلام الله غير مخلوق، ولا يقال: القرءان غير مخلوق، لئلا يسبق إلى الفهم أن المؤلَّف من الأصوات والحروف قديم، كما ذهب إليه بعض جهلة الحنابلة».اهـ.

س29: ما معنى قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5]؟

قال الإمام مالك τ: «استوى كما وصفه نفسه[1]، ولا يقال عنه: كيف، كيف عنه مرفوع»[2].اهـ. والكيف صفة المخلوق، ومن صفة المخلوق: الجلوس[3] والاستقرار والمكان[4] والجهة[5]، وقال القشيري: «{عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} قهر وحفظ وأبقى»[6].اهـ. ولا يجوز اعتقاد أنه جالس على العرش، لأن هذه عقيدة اليهود، وفيها تكذيب لقوله تعالى: {فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ} [النحل: 74]، وقال الإمام علي τ: «إن الله خلق العرش إظهارًا لقدرته، ولم يتخذه مكانًا لذاته».اهـ. أبو منصور البغدادي، **الفَرْق بين الفِرَق**[7].

1() أي: كما ورد في القرءان، استوى استواء يليق به.

2() البيهقي، **الأسماء والصفات**، ص379.

3() الجلوس ليس له معنى في لغة العرب إلا هذا المعروف ممن له جزء أعلى وجزء أسفل، والجزء الأسفل ملاصق لما تحته.

4() المكان: الفراغ الذي يشغله الحجم.

5() الجهة: الناحية.

6() محمد مرتضى الزبيدي، **إتحاف السادة المتقين**، 108/2.

7() أبو منصور البغدادي، **الفرق بين الفرق**، ص287.

* القاعدة: أن القرءان لا يتعارض، والحديث لا يتعارض، والقرءان لا يعارض الحديث، وكذلك الحديث لا يعارض القرءان، فلا بد أن تكون هذه الآية: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5] منسجمة مع الآيات المحكمات، ومنها: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: 11].

* قال الإمام جعفر الصادق τ: «من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك».اهـ. أحمد الرفاعي، **البرهان المؤيد**، ص19.

* قال الإمام أبو حنيفة τ: ««نقرّ بأن الله على العرش استوى، من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه، وهو الحافظ للعرش وغير العرش من غير احتياج، ولو كان محتاجًا إلى الجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله تعالى، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا».اهـ. القاري، **مِنَح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر**، ص126، 127.

* قال مالك τ لرجل سأله عن {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5]: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعًا».اهـ. البيهقي، **الأسماء والصفات**، ص379.

* قال الشافعي τ عندما سئل عن قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5] «ءامنت بلا تشبيه، وصدقت بلا تمثيل، واتهمت نفسي عن الإدراك وأمسكت عن الخوض فيه كل الإمساك».اهـ. الحصني **دفع شُبه من شبَّه وتمرّد**، ص31.

* قال الشافعي τ: «وكذا [يكفر] من يعتقد أن الله جالس على العرش».اهـ. ابن المعلم، **نجم المهتدي**، 430/2.

* قال أحمد بن حنبل τ: «استوى كما أخبر لا كما يخطر للبشر».اهـ. أحمد الرفاعي، **البرهان المؤيد**، ص18.

* قال الغزالي رحمه الله: ««وأنه مستوٍ على العرش على الوجه الذي قاله، وبالمعنى الذي أراده، استواءً منزَّهًا عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال، لا يحمله العرش؛ بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته، ومقهورون في قبضته، وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شيء إلى تخوم الثرى (فوقية القهر) فوقية لا تزيده قربًا إلى العرش والسماء كما لا تزيده بُعدًا عن الأرض والثرى؛ بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء، كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى، وهو مع ذلك قريب من كل موجود، (القرب المعنوي لا الحسّي) وهو أقرب إلى

.....

العبد من حبل الوريد، وهو على كل شيء شهيد، إذ لا يماثل قربه قرب الأجسام، كما لا يماثل ذاته ذات الأجسام، وأنه لا يحل في شيء، ولا يحل فيه شيء».اهـ. **الغزالي قواعد العقائد**، ص52، 53.

* قال الغزالي رحمه الله: «العلم بأنه تعالى مستوٍ على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء، وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء، ولا يتطرق إليه سمات الحدوث والفناء، وهو الذي أريد بالاستواء في السماء [...] وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء، كما قال الشاعر: [الرجز]

قَدِ اسْتَوى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ مِنْ غَيرِ سَيْفٍ ودمٍ مُهْرَاقِ».اهـ.

الغزالي، **قواعد العقائد**، ص165 – 167.

* قال أحمد الرفاعي رحمه الله: ««نزّهوا الله عن سمات المحدثين وصفات المخلوقين، وطهّروا عقائدكم من تفسير معنى الاستواء في حقه تعالى بالاستقرار، كاستواء الأجسام على الأجسام المستلزم للحلول، تعالى الله عن ذلك».اهـ. أحمد الرفاعي، **البرهان المؤيد**، ص16.

* قال أبو القاسم الأصبهاني رحمه الله: «ومتى عُدّي [الاستواء] بـ«على» اقتضى معنى الاستيلاء».اهـ. الأصبهاني، **مفردات القرءان**، 331/1.

* ولا صحة لِما روي عن ابن عباس ﷺ أنه فسرّ الاستواء بالاستقرار، فهو من رواية السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح، قال الحافظ البيهقي: «الرواية منكرة».اهـ. البيهقي، **الأسماء والصفات**، ص383، 384. وهذا السند يسمّى «سلسلة الكذب»، فوجب الحذر من كتاب «تنوير المقباس من تفسير ابن عباس»، فإنه كذب عليه.

* قال تقي الدّين الحصني: «وفي مواضع أغراضهم [أي: ابن تيمية وأتباعه] الفاسدة يُجْرون الأحاديث على مقتضى العُرف والحس، ويقولون: ينزل بذاته وينتقل ويتحرك ويجلس على العرش بذاته، ثم يقولون: لا كما يُعْقَل. يغالطون بذلك من يسمع من عامي وسيّء الفهم، وذلك عن التناقض، ومكابرة للحس والعقل، لأنه كلام متهافت يدفع آخره أوله، وأوله آخره».اهـ. الحصني، **دَفْع شُبه من شَبَّه وتمرَّد**، ص15.

س30: تكلم على القدر.

كل شيء يحصل في هذه الدنيا من خير أو شر، من طاعة أو معصية، من إيمان أو كفر، بتقدير الله ومشيئته وعلمه، الخير والإيمان والطاعة بتقديره ومحبته ورضاه، أما الشر والمعصية والكفر فبتقدير الله وليس بمحبته وليس برضاه، ولا يوصف تقدير الله الذي هو صفته بالشر[1].

قال تعالى[2]: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر: 9].

الحديث[3]: «**كُلُّ شيءٍ بقدَرٍ حتّى العَجْزُ[4] والكَيْسُ[5]**». مسلم، **صحيح مسلم** (كتاب القدر، باب كل شيء بقدر الله، 2045/4).

1() إنما يقال: تقدير الله حسن، أما المقدورات إن كانت شرًّا فتوصف بالشر.

2() من الآيات الدالة على ذلك:

قوله تعالى: {وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ} [البقرة: 102].

وقوله تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ} [آل عمران: 166].

وقوله تعالى: {قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا} [التوبة: 51].

وقوله تعالى: {وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ} [الرعد: 11].

وقوله تعالى: {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا} [الحديد: 22].

وقوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ} [الفلق، 1، 2].

3() كما ورد في الحديث: «**ما شاء اللهُ كان وما لم يشأْ لم يكنْ**». أبو داود، **سنن أبي داود**، (كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، 409/7، 410). والقدر، معناه: تدبير الأشياء على وجه مطابق لعلم الله الأزلي ومشيئته الأزلية، فيوجدها في الوقت الذي علم أنها تكون فيه.

* وهناك الحديث المشهور: «**لو أنَّ اللهَ عذَّب أهلَ سماواتِهِ وأهلَ أرضِهِ لَعذَّبهم وهو غيرُ ظالمٍ لهم، ولو رحمَهم كانت رحمتُه لهم خيرًا من أعمالِهم، ولو أنفقتَ جبلَ أحُدٍ ذهبًا في سبيلِ اللهِ Y ما قَبِلَه اللهُ منك حتى تؤمنَ بالقدَرِ وتعلمَ أنَّ ما أصابك لم يكن لِيُخطئَكَ، وما أخطأك لم يكُن لِيُصيبَك، ولو مُتَّ على غيرِ ذلك لدخلتَ النارَ**». أحمد، **مسند أحمد**، (182/5).

4() العجز: الضعف، أي: ضعف الفهم.

5() الكيس: الفطنة والذكاء والاجتهاد.

س31: ما الدليل على أن مصافحة الرجل للمرأة الأجنبية حرام؟

الحديث: «**لَأَنْ يُطعنَ في رأسِ أحدِكم بِمِخْيَطٍ[1] من حديدٍ خيرٌ له من أنْ يَمسَّ امرأةً لا تَحلُّ لهُ[2]**». الطبراني، **المعجم الكبير**، (211/2، 212). وقال عليه الصلاة والسلام: «**واليدُ زناها البطْشُ[3]**». مسلم، **صحيح مسلم** (كتاب القدر، باب قدّر على ابن ءادم حظه من الزنى وغيره، 2046/4).

1() المِخْيَط: ما خِيطَ بهِ.

2() معناه لو عُذِّبَ على هذه المعصية كان عذابه أشد مِن أنْ لو طُعن بحديدة في رأسه.

3() زنى اليد يشمل أشياء كثيرة، يشمل اللمس المحرم، والمراد بالبطش العمل باليد.

* وجاء أنه ﷺ قال: «**إني لا أصافحُ النساءَ**». ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، (كتاب السير، باب بيعة الأئمة وما يستحب لهم، 375/5، 376)، وإسحاق بن راهويه بسند حسن، كما ذكر ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، 406/23.

* وعن عائشة ﵂ قالت: «ولا واللهِ، ما مسَّت يدُه امرأةً قط في المبايعة، ما يبايعهن، إلا بقوله: «**قد بايعتُكِ على ذلكَ**»».اهـ. البخاري، **صحيح البخاري**، (كتاب التفسير، باب {إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِناتُ مُهاجِرَاتٍ} [الممتحنة: 10]، 1856/4).

وفي لفظ ءاخر عن عائشة ﵂ أنها قالت: «ما أخذ رسول الله ﷺ من النساء قط إلا بما أمره الله جل وعلا، وما مست كفه كف امرأة قط، وما كان يقول لهن إذا أخذ عليهن إلا: «**قد بايعتُكُنَّ**» كلامًا».اهـ. ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، (كتاب الحظر والإباحة، ذكر البيان بأن المرء ممنوع عن مس امرأة لا يكون لها محْرَمًا في جميع الأحوال، 339/6، 340).

* وفي ذلك ردٌّ على من زعم أن النبي ﷺ بايع النساء بالمصافحة، وهو كلام باطل.

س32: تكلم على قراءة القرءان على الميت.

قراءة القرءان على الميت جائزة.

قال تعالى: {وَافْعَلُوا الْخَيْرَ}[1] [الحج: 77].

الحديث: «**اقرؤُوا على موتاكُم يٰس**». ابن حبان، **صحيح ابن حبان**، وصححه، (فصل في المحتضر، 66/4)[2]. وإجماع أهل الحق على جوازه ونفعه.

1() يدخل في الخير البرُّ والمعروف. الفخر الرازي، **تفسير الفخر الرازي**، 72/23.

2() وفي لفظ: «**يٰس قلبُ القرءانِ، لا يَقرؤُها رجلٌ يُريدُ اللهَ تبارك وتعالى والدارَ الآخرةَ إلَّا غُفِرَ لهُ، واقرَؤُوها على موتاكُم**». أحمد، **مسند أحمد**، (26/5).

* وإذا قيل: إن بعض العلماء ضعَّفوه. فالجواب ما قد ذكره النووي في مقدمة «**الأربعين النووية**» (42، 43): «اتفق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال».اهـ.

* وإذا قيل: المحتضَر فحسب، فالجواب: ليس في الحديث تخصيص بالمحتضَر، كلمة «**موتاكم**» تحتمل المحتضر، وتحتمل الذي مات من قريب أو من بعيد.

* وكذلك الحديث الذي رواه الطبراني في **المعجم الكبير** (444/12): «**إذا مات أحدُكم فلا تحبِسُوه، وأسرِعُوا بهِ إلى قبرِهِ، ولْيُقرأْ عندَ رأسِهِ بفاتحةِ الكتابِ، وعندَ رجليهِ بخاتمةِ البقرة في قبرِهِ**». قال الحافظ ابن حجر في **شرح البخاري** (658/4، 659) عن هذا الحديث: «أخرجه الطبراني بإسناد حسن».اهـ.

* وهذا ما فهمه أصحاب رسول الله ﷺ، جواز قراءة القرءان للميت عند قبره، فقد ثبت عن الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، أنه قرأ على القبر أول سورة البقرة وخاتمتها. البيهقي، **السنن الكبرى**، (كتاب الجنائز، باب ما ورد في قراءة القرءان عند القبر، 93/4)، وحسَّنه النووي، **الأذكار**، ص 137.

* من أقوال المالكية: «أصل هذا الباب الصدقة التي لا اختلاف فيها، فكما يصل للميت ثوابها فكذلك تصل قراءة القرءان والدعاء والاستغفار، إذ كل ذلك صدقة، فإن الصدقة لا تختص بالمال».اهـ. القرطبي، **التذكرة**، 277/1، 279.

* من أقوال الشافعية: قال النووي في «رياض الصالحين» (ص284): «قال الشافعي رحمه الله: ويُستحبّ أن يُقرأ عنده [أي الميت المدفون] شيء من القرءان، وإن ختموا القرءان عنده كان حسنًا».اهـ.

* من أقوال الحنابلة: قال أبو بكر المروزي: «سمعت أحمد بن حنبل يقول: «إذا دخلتم المقابر فاقرؤوا آية الكرسي و{قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ} [الإخلاص: 1] ثلاث مرات، ثم قولوا: اللَّهُمَّ اجعل فضله لأهل المقابر»»، وقال: «فإنه يصل إليهم».اهـ. ابن مفلح، **المقصد الأرشد**، 338/2، 339.

* وهاك نقلين عن عمدتين للوهابية:

ابن تيمية في «**مجموع فتاوى ابن تيمية**»، (300/24) حين سئل عن حكم عمل الختمة لمن مات: «من قرأ القرءان محتسبًا وأهداه إلى الميت نفعه ذلك».اهـ.

ابن عبد الوهاب في «**أحكام تمني الموت**» (ص75): «أخرج عبد العزيز صاحب الخلال بسنده مرفوعًا: من دخل المقابر فقرأ سورة يٰس» خفف الله عنهم، وكان له بعدد من فيها حسنات».اهـ.

.....

* وهذه قصة في كتاب «العاقبة» لعبد الحق الأزدي قال: «حدثني أبو الوليد إسماعيل بن أحمد [عُرِف بابن أفرند]، وكان هو وأبوه صالحين. قال لي أبو الوليد: مات أبي رحمة الله عليه، فحدثني بعض إخوانه ممن يوثق بحديثه، قال لي: زرت قبر أبيك فقرأت عليه حزبًا من القرءان، ثم قلت له: يا فلان، هذا قد أهديته لك، فماذا لي؟ قال: فهبَّت عليَّ نفحة مسك غشيتني، وأقامت معي ساعة، ثم انصرفت وهي معي، فما فارقتني إلا وقد مشيت نحو نصف الطريق».اهـ. عبد الحق الإشبيلي، **العاقبة**، 127.

س33: ما الدليل على جواز انتفاع الميت بالصدقة؟

الحديث: «**إذا مات الإنسان انقطعَ عنه عملُه إلَّا من ثلاثةٍ: إلّا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفَعُ بهِ، أو ولدٍ صالحٍ يَدعُو لهُ**[1]». مسلم، **صحيح مسلم** (كتاب الوصية، باب ما يلحق الإنسان من الفوائد بعد وفاته، 1254/3). معناه: أن هذا مما ينتفع به المسلم مما يكون هو سببًا فيه. وكذلك قوله تعالى: {وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} [النجم: 39][2]، أي: ما يكونُ من فعله من الخير انتفع بهن وما كان من إحسان غيره إليه ولم يكن من فعله انتفع به، بفضل الله عليه، وذلك كصلاة الجنازة ليست من فعل الميت وينتفع بها، وكدعاء الرسول ﷺ لغيره، ليس من فعل هذا الغير وينتفع به.

1() دعاء الولد الصالح ليس من فعل الميت، هو دعاء غير الميت وينتفع به الميت.

2() أبو حيان الأندلسي، **البحر المحيط**، 24/10. وهو سبحانه لم يقل إنه لا ينتفع إلا بما سعى، فليس في الآية تعرض لمنع الانتفاع بعمل الغير؛ بل في الحديث ما يشهد لصحة وصول الأجر والنفع من عمل الغير، كما في حديث: «**إذا مات الإنسان**» الحديثَ، وحديث البخاري في صحيحه (كتاب الوصايا، باب أرضي أو بستاني عن أمي فهو جائز [...] 1013/3) عن تصدق سعد بن عبادة τ عن أمه التي ماتت. فعن ابن عباس ﷺ أن سعد بن عبادة τ توفيت أمه وهو غائب عنها، فقال: «يا رسول الله، إن أمي توفيت وأنا غائب عنها، أينفعها شيء إن تصدقت به عنها؟ »، فقال عليه الصلاة والسلام: «**نعم**»، فقال سعد: «فأشهدك أن حائطي المخراف صدقة عليها».اهـ. (حائطي المخراف: بستاني المثمر). وما فعله سعد بن عبادة ليس من فعل أمه، والرسول ﷺقال له: «**نعم**»، أي ينفعها.
قال الزبيدي في «**إتحاف السادة المتقن**» (373/10): «ثم قال السيوطي: واستدلوا على الوصول بالقياس على الدعاء والصدقة والصوم والحج والعتق، فإنه لا فرق في نقل الثواب بين أن يكون عن حج أو صدقة أو وقف أو دعاء أو قراءة، وبالأحاديث الواردة فيه، وهي وإن كانت ضعيفة فمجموعها يدل على أن لذلك أصلًا، وبأن المسلمين ما زالوا في كل مصر يجتمعون ويقرؤون لموتاهم من غير نكير، فكان ذلك إجماعًا».اهـ.

س34: ما الدليل على أنه يجوز قيام رمضان بأكثر من إحدى عشرة ركعة؟

قال الله تعالى: {وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُون} [الحج: 77].

الحديث: «**صلاة الليلِ مثنَى مثنَى**». البخاري، **صحيح البخاري**، (كتاب الوتر، باب ما جاء في الوتر، 337/1)[1]

والحديث: «**الصلاةُ خيرٌ موضوعٌ**[2]، **استكثرَ أو استقلَّ**». ابن حبان، **صحيح ابن حبان**[3]، (كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، 452/1، 453).

1() وفي الحديث ترك التحديد بعدد، فيشمل سبع ركعات وتسعًا إلى عشرين إلى أربعين إلى مائة إلى أكثر من ذلك، كل هذا شيء موافق، والرسول ﷺ لم يفعل كل ما رغب فيه. أليس ثبت عن أبي هريرة τ أنه كان يسبح اثنتي عشرة ألف تسبيحة، كل يوم، ويقول: «أسبّح بقدر ذنوبي».اهـ. رواه ابن سعد، وصححه الحافظ ابن حجر في «**الإصابة**» (360/7). ولم يثبت أن الرسول ﷺ سبّح بهذا العدد، فهل يكون بذلك أبو هريرة عاصيًا. وهؤلاء أهل المدينة كانوا يقومون في رمضان بست وثلاثين ركعة، (النفراوي، **الفواكه الدواني**، 490/1) فهل يقال: إنه خاب سعيهم وضل وأتبعوا أنفسهم فيما هو معصية لله، لقول متنطع بتحريم الزيادة على إحدى عشرة ركعة.

2() خير موضوع أي شيء حسن وُضِعَ وحُثّ عليه.

3() أخرجه ابن حبان في صحيحه وصحَّحه، ووافقه عليه الحافظ ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري** (82/4).

س35: ما الدليل على جواز استعمال الدف؟

الحديث: أن امرأة قالت للرسول ﷺ: إني نذرت أن أضرب على رأسك بالدف، قال: «**أوفِي بنذرِكِ**». أبو داود، **سنن أبي داود**، (كتاب الأيمان والنذور، باب ما يؤمر بوفائه من النذر، 199/5)[1].

1() عمل المرأة هذا لإدخال السرور على قلب رسول الله ﷺ، فلو كان حرامًا لَما قال لها: «**فأوفِي بنذرِكِ**»؛ لأن النبي ﷺ لا يقرّ حرامًا.

* وفي سنن الترمذي (كتاب النكاح، باب ما جاء في إعلان النكاح، 389/3، 390) عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «**أعلنُوا هذا النكاحَ واجعلُوه في المساجدِ، واضربُوا عليه بالدفوفِ**». قال ابن حجر الهيتمي: «وفيه إيماء إلى جواز ضرب الدف في المساجد، لأجل ذلك فعلى تسليمه يقاس عليه غيره».اهـ. ابن حجر الهيتمي، **الفتاوى الكبرى**، 356/4.

* وروى البخاري في صحيحه (كتاب النكاح، باب النسوة اللاتي يهدين المرأة إلى زوجها ودعائهن بالبركة، 1980/5) عن عائشة رضي الله عنها أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار، فال نبي الله ﷺ: «**يا عائشةُ، ما كان معكُم لهوٌ، فإنَّ الأنصارَ عجبُهُمُ اللَّهْوُ**». قال الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه في رواية شريك، فقال: «**فهل بعثتُم معها جاريةً تضربُ بالدفِّ وتغنّي**». ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، 446/15.

* وأما من قال: إن جوازه خاص بالنساء، فقوله مردود، لأن إباحته عامة للرجال والنساء، والتخصيص لا يشهد له العرف ولا الشرع، لأن الأصل اشتراك الذكور والإناث في الأحكام إلا ما ورد الشرع فيه بالفرق، ولم يرد هنا في ذلك شيء، وليس ذلك مما يختص بالنساء حتى يقال: إنه يحرم على الرجال التشبّه بهن، فبقي على العموم، لأن أهل اليمن مشهور عندهم أن الرجال يضربون به، وكذلك أهل بَرّ الشام الصوفية وأهل الذكر.

س36: من هو أول الأنبياء والرسل؟

أول الأنبياء والرسل ءادم υ.

قال تعالى: {إِنَّ اللهَ اصْطَفَى ءَادَمَ} [ءال عمران: 32][1].

الحديث: «**آدمَ فمَن سِواهُ** [مِن الأنبياءِ] **إلّا تحتَ لِوائي** [يومَ القيامة]». الترمذي، **سنن الترمذي**، _كتاب تفسير القرءان، باب سورة بني إسرائيل، 308/5)[2].

1() في الآية: {إِنَّ اللهَ اصْطَفَى ءادَمَ وَنُوحًا} [ءال عمران: 33] اصطفاء ءادم من جنس اصطفاء نوح، ونوح اصطُفي بالنبوة والرسالة، وكذلك ءادم، لورده في سياق واحد. ابن أبي حاتم الرازي، **تفسير القرءان العظيم**، 148/3.

* وفي قوله الله تعالى: {قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (٢٧) لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ (٢٨) إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ} الآية [المائدة: 27 – 29] دليل على رسالة آدم، وأن أبناءه كانوا على شريعة أُنزلت على أبيهم. وفي حديث البخاري في الصحيح (كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً} [البقرة: 30]، 1213/3): «**لا تُقتلُ نفْسٌ ظُلمًا إلّا كان على ابنِ ءادمَ الأولِ كِفْلٌ مِن دمِها**» دليل أيضًا، لأنه لو لم يكن مرسلًا إلى أبنائه لم يكونوا مكلفين، فلم يكن يكتب على ابن آدم الأول ذنب.

وروى ابن حبان في صحيحه، (كتاب البر والإحسان، باب ما جاء في الطاعات وثوابها، 453/1، 454)، عن أبي ذر أنه قال: قلت: يا رسول الله، من كان أولهم، قال: «**ءادم**»، قلت: يا رسول الله، أنبيٌّ مرسَل؟ قال: «**نعم، خلقه اللهُ بيدِهِ** [بعنايته]، **ونفَخَ فيهِ مِن رُوحِهِ** [الروح المشرَّف عنده]، **وكلَّمَه قِبلًا**»، أي: من غير واسطة الملائكة. ورواه الحافظ ابن حجر العسقلاني في «**المطالب العالية**» (204/14). وقال في «**فتح الباري**» (16/1): «قوله: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ} الآية [النساء]. قدّم ذكر نوح υ فيها لأنه أول نبي أُرسل أو أل نبي عُوقب قومه، فلا يردّ كون آدم أول الأنبياء مطلقًا».اهـ.

* أما حديث البخاري في الصحيح (كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} [نوح: 1] 1215/3) الذي فيه أن الناس يأتون نوحًا يوم القيامة فيقولون: أنت أول الرسل إلى أهل الأرض. فمعناه أنه أول رسول أرسل إلى قبائل متعددة، لأنه من كان قبله لم يكونوا كذلك، دل على ذلك كلمة «إلى أهل الأرض».

* وأما تكفير منكر نبوته فهو في «**الفتاوى الهندية**» (291/2)، ففيها: «عن جعفر فيمن يقول: آمنت بجميع أنبيائه، ولا أعلم ءادم نبيّ أم لا؟ يكفر، كذا في «العتابية»».اهـ.

* ونقل الإجماع على أن إنكار رسالته كفر غير واحد، منهم ابن حزم في «**مراتب الإجماع**»، ص268، 269.

* ولا يلتفت إلى شذوذ بعض الوهابية، فإنهم خرجوا بهذا عن إجماع الأمة، وليحذر من برامج وضعت على الإنترنت يطرح فيها أسئلة، منها: من هو أول رسل الله أو أول أنبياء الله؟ فإذا أجاب الشخص بأنه آدم، جاء الجواب أنه غلط؛ فيجب التحذير منه.

2() قال الترمذي عقبه: «حسن صحيح».اهـ. وهو حديث عن أبي سعيد الخدري τ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيدُ ولدِ ءادمَ يومَ القيامةِ ولا فخرَ، وبيدي لواءُ الحَمْدِ ولا فخَر، وما من نبيٍّ يومئذٍ ءادمَ فمَن سواهُ إلّا تحتَ لِوائي، وأنا أولُ مَن تنشقُّ عنهُ الأرضُ ولا فخرَ**». الترمذي، سنن الترمذي، (كتاب تفسير القرءان، باب سورة بني إسرائيل، 308/5).

* ونقل إجماع المسلمين على نبوة ءادم أبو منصور البغدادي المتوفى سنة 429 هجرية في كتابه «**أصول الدّين**»، ص159: «أجمع المسلمون وأهل الكتاب على أن أول من أرسل من الناس ءادم υ».اهـ.

.....

وقد أخبر الله تبارك وتعالى في كتابه بفضل البشر، ولو كان أولهم ءادم υ وأبناؤه عائشين بغير شريعة يعملون بها لكانوا كالبهائم، ليس لهم ذلك الفضل الذي ناله أبوهم بإسجاد الملائكة له.

س37: ماذا يجب للأنبياء؟ وماذا يستحيل عليهم؟

يجب أن يكونوا متصفين بالصدق والأمانة والفطانة والعفة[1] والشجاعة[2] والفصاحة[3]. ويستحيل عليهم الكذب[4] والخيانة والرذالة والزنى وسائر الكبائر والكفر قبل النبوة وبعدها.

قال تعالى: {وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ} [الأنعام: 86].

الحديث «**ما بعثَ اللهُ نبيًّا إلَّا حَسَنَ الوَجْهِ حسنَ الصوتِ**». الترمذي، **الشمائل المحمدية** (15).

1() يجب علينا أن نعتقد أن الأنبياء من صغرهم مؤمنون. لا يرتكبون الزنى، ولا يعزمون على فعله، ولا حتى يتردَّدون: أفعل أو لا أفعل؟ سيدنا يوسف υ لم يهم بالزنى، أصل الهم ما حصل، وهو كقول القائل: «زرتك لولا أمطرَتْ»، ومعناه: أن الزيارة لم تحصل بسبب المطر.

2() أنبياء الله كلهم شجعان. سيدنا موسى υ عندما ترك قومه كان هذا من الحكمة، لأنه لو بقى بينهم لقتلوه، فهو لا طاقة له بهم، فهذا لا يكون جبنًا. وخروج سيدنا محمد ﷺ من مكة لا يدل على الجبن، إنما خرج بأمر من الله.

3() أنبياء الله ما فيهم من هو فَأْفاء أو أَلْثَغ، والألثغ هو الذي يُصَيِّرُ الراء غينًا أو لامًا والسين ثاءً... وأما نبي الله موسى υ الذي تأثر لسانه بالجمرة التي تناولها ووضعها في فمه حين كان طفلًا أمام فرعون لحكمة ربانية، ما تركت تلك الجمرة في لسانه أن يكون كلامه غير مُفهم للناس؛ بل كان كلامه مفهمًا لا يُبدل حرفًا بحرف؛ بل يتكلم على الصواب، لكن كان فيه عقدة خفيفة، أي: بطء من أثر تلك الجمرة، ثم دعا الله تعالى لما نزل عليه الوحي قال: {وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي (27) يَفْقَهُوا قَوْلِي} [طه: 27، 28]، فأذهبها الله عنه.

4() سيدنا إبراهيم υ لم يكذب لما قال عن سارة زوجته: «هذه أختي»، على معنى أختي في الإسلام، وذلك ليدرأ عن نفسه القتل. ولما قال: {إِنِّي سَقِيمٌ} [الصافات: 89]، على تفسير أنه كان مريضًا حقيقة. وقوله: {قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ} [الأنبياء: 63]، معناه: إن كانوا ينطقون فقد فعله كبيرهم، أو أن تعظيمكم لهذا الصنم الكبير وكثرة عبادتكم له دفعني لتكسير الأصنام الصغيرة، فيكون نسبة الفعل إلى الكبير من باب الإسناد المجازي، فلا كذب في ذلك.

* ينبغي التنبيه أيضًا إلى تبرئة الأنبياء عما لا يليق بهم من قصص مختلقة مفتراة درج بعض الجهال على ذكرها، ومن ذلك:

افتراؤهم على إبراهيم υ أنه مر بمرحلة شك في معرفة الله.

افتراؤهم على يوسف υ أنه همّ بالزنا بامرأة العزيز.

افتراؤهم على داود υ أنه أرسل أحد قادة جيشه، ليكون في مقدم المعركة ليُقتل ليستأثر هو بعد ذلك بزوجته.

افتراؤهم على أيوب υ أنه أكله الدود في المرض الذي أصيب به، وذلك منفر، لا يجوز في حق الأنبياء.

فينبغي التحذير من مواضع دُسَّت في «تفسير الجلالين»، وكذا «تفسير الثعالبي»، حيث ذكر فيهما ما بُيّن آنفًا وغيره كنسبة الشرك إلى ءادم وحواء. وكل ذلك من المفتريات التي لا يجوز اعتقادها في حق الأنبياء عليهم السلام.

* صان الله الأنبياء من المنفرات، ككون أساميهم من الأسماء القبيحة الشنيعة وأخلاقهم من الأخلاق القبيحة، فإذا كان الأنبياء هكذا تعيَّن أن تكون أساميهم حسنة، ثم إن لفظ اللواط عربي، ولوطًا اسم أعجمي، فكيف يدَّعي مدَّعٍ أنه مشتق من اللواط، وكذلك عكسه، وهو القول بأن اللواط مأخوذ من لوط، فلفظ اللواط كان قبل قوم لوط، لأن اللغة العربية لغة قديمة، فلا يجوز ادعاء هذا الاشتقاق؛ بل على من ادعى ذلك أن يخلص منه بالتشهد.

س38: ما معنى قوله تعالى: {لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ} [الإخلاص: 3]

معناه: نفي المادية[1] والانحلال عن الله، فالله لا يحل في شيء، ولا ينحل منه شيء، ولا يحل فيه شيء،

1() المادية: المادة والجسم.

قال الإمام جعفر الصادق[1]: «من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك».اهـ. القشيري، **الرسالة القشيرية**[2].

1() هو مجتهد مطلق كابن سيرين وأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد ψ.

* نقل السيوطي الإجماع على كفر الاتحادية والحلولية. السيوطي، **الحاوي للفتاوى**، 125/2.

* فمن قال بالحلول فدينه معلول، وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد. على أن أهل الحلول والزيغ ينسبون إلى الشيخ محيي الدّين بن عربي قولًا باطلًا، افتراء وزورًا، وهو قولهم: «إن الله خلق الخلق من أصل هو عينه»، وهذا يفهم منه أن هذه الكائنات بما فيها من جمادات وبهائم وإنس وجن هي عن ذات الله وقد حل فيها والعياذ بالله تعالى، وهل يتحوَّل ويتبدَّل ويتكثَّر ويتطوَّر إلا المخلوق الحادث؟! فهذه الكلمة منافية لما يتردد على ألسنة المسلمين، وهي قولهم: «سبحان الذي يغيّر ولا يتغير»، وهي منسجمة مع قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: 11].

* معنى قوله تعالى: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ} [الحديد: 4] يعلم بكم أينما كنتم. وقوله تعالى: {وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ} [ق: 16]، أي: أعلم بنفس الشخص من نفسه بنفسه، فالله سبحانه مع الأنبياء والأولياء بالنصرة والكلاءة والحفظ.

* والعجب كيف يستحلون هذه الكلمات، وهم يعلمون أن أفضل الذكر هو «لا إله إلا الله»، لا ذكر أحبّ إلى الله من «لا إله إلا الله!؟» وقد قال رسول الله ﷺ عندما سُئل عن «لا إله إلا الله»: «**نَعَمْ، هي أحسنُ الحسناتِ**». حديث صحيح رواه البيهقي في **الأسماء والصفات**، (1/ 351).

* وأما ما يتناقلونه على ألسنتهم عن الله: «ما وسعتني أرضي ولا سمائي ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن»، فهو ليس حديثًا، قال ملا علي القاري في «**الأسرار المرفوعة**»، ص301: «ذكره في «الإحياء»، وقال العراقي: «لم أرَ له أصلًا».اهـ. ثم قال: «ومعناه وسع قلبه، أي: العبد المؤمن الإيمان بي وبمحبتي، وإلا فالقول بالحلول كفر».اهـ. مع أنه لا حاجة لتأويله لأنه لا أصل له.

* ويجدر التنبيه من كلام يُنسب زورًا وبهتانًا إلى العارف المكين العالم الزاهد الشيخ أبي يزيد البسطامي قدس الله سره، وهو قول: «الجنة ملعبة الصبيان»، و«سبحاني ما أعظم شأني»، وغيرها من الأكاذيب، فحاشاه أن يتكلم مثل هذا الكلام القبيح لأنه من المتمسكين بآداب السُّنَّة الشريفة حالًا وقالًا وفعلًا.

* ومن الأشعار المدسوسة على أولياء الله تعالى في كتاب «إيقاظ الهمم في شرح الحكم» وغيره: [المتدارك]

دع طرق الغَيّ فالدنيا فَيْ ... ما الكونُ إلا القيّوم الحيْ

والمعروف الصواب عند أهل التصوف السابقين قولهم: [المتدارك]

دع طرق الغَيّ فالدنيا فَيْ ... الكلُّ يفنى والباقي حيْ

والفرق بينها جَلِيٌّ، فلَكَ أن ترى كم بلغ التحريف والدسُّ مبلغَه، ومنها قولهم والعياذ بالله:

أنا أنت بلا شك سبحانك سبحاني، توحيدك توحيدي وعصيانك عصياني.

ومنها قولهم والعياذ بالله: [الطويل]

وما الكونُ في التمثالِ إلا كثلجةٍ ... وأنتَ بها الماءُ الذي هو نابعُ

ومنها قولهم والعياذ بالله: [موشّح]

أنتَ نسخةُ الأكوانْ ... فيك صورةُ الرحمنْ

ومنها قولهم والعياذ بالله:

إذا ذكرته بالجد ترى ما لا تراه ... كل ما تهواه موجود في ذات الله

يا خليلي قل الله وحده في الكثرة ... لا ترى ما سوى الله في كل كائنة

اثنان نحن وفي الحقيقة واحد ... لكن أنا الأدنى وأنت الأكبر

س39: ما الدليل على جواز الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان؟

تجوز الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان، ولا يُلتفَت إلى من حرّم ذلك.

وهذه الأبيات الأخيرة موجودة في كتاب يسمّى «مزامير داود».

* وهاك قصيدة البدر المحمدي اللامع السيد محمد مهدي الصيادي الرفاعي الحسيني الشهير بالرواس τ، وفيها رد على أهل الوحدة: [السريع]

دَعْ وَهْمَ أهلِ الوَحدةِ المطلقَهْ ... وافهَمْ رموزَ الجَمعِ والتَّفرقهْ

كلُّ اتِّحادٍ حُكْمُهُ باطلٌ ... وشاهدُ الظاهرِ قدْ مزَّقهْ

من غيَّرَ الأيَّامُ أحوالَهُ ... وشيَّبَتْ رغمًا لهُ مِفْرَقَهْ

ثمَّ حَنَتْهُ ثمَّ طاحَتْ بهِ ... تحتَ الثَّرى في حُفرةٍ مُغلَقَهْ

ومَنْ يَرى الفَقرَ ويَلقى العَنا ... وتَعتَريهِ النُّوَبْ المُقْلِقَهْ

وكلَّ وقتٍ كُلُّهُ حاجَةٌ ... لثوبِهِ والخُبْزِ والمَلْعَقَهْ

وتكْتَنِفْهُ في الخَلا وحشَةٌ ... ويتَّزِرْهُ الأُنسُ بالطَّقْطَقَهْ

يبولُ مقْهورًا وَتَلْوَى بهِ ... لنومِهِ جُثَّتُهُ المُعْرِقَهْ

يكونُ عينَ اللهِ عزَّ اسمُهُ ... حاشا وذا مِن دنَسِ الزَّندقهْ

فنزِّهِ الخالقَ عن قولِ مَن ... أشركَ واطْرَحْ هذه الشَّقْشقهْ

ما وحّدَ اللهَ تعالى امرؤٌ ... معتقدٌ بالوَحدةِ المُطلَقهْ

الرواس، **ديوان مشكاة اليقين**، ص225.

* وقال السيد الكبير أحمد الرفاعي القطب الغوث أمدنا الله بأمداده ورضي الله عنه: «لفظتان ثُلْمتان في الدّين: القول بالوحدة، والشطح المجاوز حدَّ التحدث بالنعمة».اهـ. أحمد الرفاعي، **حكم أحمد الرفاعي**، ص7. أي: أن التلفظ به هدم للدين، ولو لم يعتقد قائله المعنى الذي هو اتحاد الله بالعالَم، لكنه يفهم معنى تلك الألفاظ الصريحة بذلك.

* وقال السيد أحمد الرفاعي: «كل حقيقة ردتها الشريعة فهي زندقة. إذا رأيتم شخصًا تربّع في الهواء، فلا تلتفتوا إليه حتى تنظروا حاله عند الأمر والنهي». أحمد الرفاعي، **البرهان المؤيد**، ص138.

* وفي قصة الشيخ عبد القادر الجيلاني حيث ظهر له الشيطان متشكلًا بنور منبث في الهواء فتتدلى منه صورة نورانية، وقال له: يا عبدي، يا عبد القادر، أسقطت عنك الواجبات، وأبحت لك المحرمات. فعندما أنهى الشيخ عبد القادر صلاته، قال: خسئت يا لعين، فقال الشيطان: كيف عرفتني وقد أغويت سبعين عابدًا من قبلك بهذه الطريقة؟ فقال الشيخ عبد القادر: كيف تسقط عني الواجبات وتباح لي المحرمات ولم يحصل هذا لسيدي محمد ﷺ، وجئتني بنور مخلوق والله خالق النور، وتكلمت بصوت وحرف ولغة، وكلام الله ليس ككلامنا، وكنت في مكان، والله لا يسكن الأماكن. وفيها من حسن الرد على المشبهة والحلولية من الشيخ الجيلاني τ، وفيها أنه غالب الشيطان بالعلم الذي تعلمه. وهي قصة مشهورة جدًّا رواها الشيخ عبد القادر لولده الشيخ موسى، وذكرها العلماء بالإسناد. ابن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار مَنْ ذهب**، ١٩٩/٤.

* في كتاب «عقود الألماس بمناقب الإمام العارف الحبيب أحمد بن حسن العطاس»، لمؤلفه السيد علوي بن طاهر الحضرمي، فتوى الشيخ أحمد الرملي عن القائل بوحدة الوجود، ويحذر مؤلفه من مطالعة الكتب المنسوبة للقوم (لأن فيها دسائس، والصحيح فيها يحتاج لشرح وفهم وعلم).

2() القشيري، **الرسالة القشيرية**، ص35.

قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [الأحزاب: 56][1].

الحديث: «**إذا سمعتُمُ المؤذنَ فقولُوا مثلَ ما يقولُ ثمَّ صلُّوا عليَّ**». مسلم، **صحيح مسلم**، (كتاب الصلاة، باب استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه [...]، 288/1).

والحديث: «**مَن ذكَرني فلْيُصلِّ عليَّ**»[2]. أبو يعلى، **مسند أبي يعلى**، (354/6)[3].

1() ليس في الآية تخصيص الصلاة عليه ﷺ بوقت دون آخر.

2() أليس المؤذن ذكر النبي ﷺ؟ فيؤخذ من ذلك أن المؤذن والمستمع مطلوب منه الصلاة على النبي ﷺ، وهذا يحصل بالسر والجهر.

* فإن قال قائل: لم يُنقل عن مؤذني رسول الله ﷺ أنهم جهروا بالصلاة عليه. قلنا: لم يقل النبي ﷺ: لا تصلوا عليّ إلا سرًّا، وليس كل ما لم يفعل عند رسول الله ﷺ يكون حرامًا أو مكروهًا، إنما الأمر في ذلك يتوقف على ورود نهي بنص أو استنباط من مجتهد من المجتهدين، كأبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم ممن جاء بعدهم من المجتهدين الذين هم مستوفو الشروط كالحافظ ابن المنذر وابن جرير ممن لهم القياس، أي قياس ما لم يرد فيه نص على ما ورد فيه نص. والجهر بالصلاة على النبي ﷺ عقب الأذان توارد عليه المسلمون منذ قرون، فاعتبره العلماء من محدثين وفقهاء بدعة مستحبة. وذكر الحافظ ابن حجر في **فتح الباري** (35/3) أن ذلك ونحوه من مكملات الأذان.

* قال السخاوي: «قد أحدث المؤذنون الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ عقب الأذان للفرائض الخمس إلا الصبح والجمعة، فإنهم يقدمون ذلك فيها على الأذان، وإلا المغرب فإنهم لا يفعلونه أصلًا لضيق وقتها، وكان ابتداء حدوث ذلك من أيام السلطان الناصر صلاح الدّين أبي المظفر يوسف بن أيوب وأمره».اهـ. ثم قال: «ومعلوم أن الصلاة والسلام من أجَلّ القُرَب، لا سيما وقد تواردت الأخبار على الحث على ذلك مع ما جاء في فضل الدعاء عقب الأذان والثلث الأخير من الليل وقرب الفجر، والصواب أنه بدعة حسنة يؤجر فاعله بحسن نية».اهـ. السخاوي، **القول البديع**، ص376 – 378.

3() أبو يعلى، **مسند أبي يعلى**، 354/6.

س40: ما هي الردة؟ وإلى كم قسم تنقسم؟

الردة[1] هي قطع الإسلام بالكفر، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- الردة القولية[2] كمسبة الله أو الأنبياء أو الإسلام، ولو في حالة الغضب.

1() في لغة العرب: ارتد، أي: رجع، فالمرتد هو الراجع، والردة هي الرجوع. أما من حيث الشرع فهي: قطع الإسلام بالكفر.

* قال الفقيه ابن عابدين الحنفي في «**رد المحتار على الدر المختار**»، (5/13): «قوله: وركنها إجراء كلمة الكفر على اللسان، هذا بالنسبة إلى الظاهر الذي يحكم به الحاكم، وإلا فقد تكون بدونه، كما لو عرض له اعتقاد باطل أو نوى أن يكفر بعد حين».اهـ.

* قال تاج الدّين السبكي في طبقاته (91/1): «ولا خلاف عند الأشعري وأصحابه؛ بل وسائر المسلمين أن من تلفَّظ بالكفر أو فعل أفعال الكفر أنه كافر بالله العظيم مخلد في النار وإن عرَفَ بقلبه».اهـ.

* قال الشيخ عبد الباسط الفاخوري في «**الكفاية لذوي العناية**»، الفصل الأول، (ص122): «وهي قطع مكلف مختار الإسلام ولو امرأة بنية كفر أو فعل مكفر أو قول مكفر، سواء قاله استهزاءً أو اعتقادًا أو عنادًا».اهـ.

2() القولية ومحلها اللسان، فالغاضب لا يُعذر.

والألفاظ قسمان: صريح ليس له إلا وجه واحد، وظاهر يحتمل معنيين: أحدهما أقرب من الآخر، فمن نطلق بالكفر الصريح وهو عامد، أي: بغير سبق اللسان، وغير مكره، وعالم بمعنى اللفظ، فهذا يكفر سواء كان نطقه من باب السب لله أو للرسول أو لغيره من الأنبياء أو الملائكة أو سب شريعة الإسلام أو من باب إنكار ما علم من الدّين بالضرورة، ولا يدخله التأويل، لأنه لو كان يدخله التأويل لتعطَّل تطبيق أحكام الردة، وتلفَّظ من يشاء بما يشاء من الصريح، ثم قال: كلامي له تأويل؛ وهذا باب من الفوضى كبير، فلا ينظر بعد كون اللفظ صريحًا إلى قصد الشخص ولا إلى معرفته بحكم تلك الكلمة أنها تخرج من الإسلام. أمَّا أن الصريح لا يُؤوَّل فقد ذكر ذلك غير واحد من الأصوليين، كإمام الحرمين الجويني، وأقرَّهم الرملي على ذلك في كتابه «**نهاية المحتاج**»، كتاب الردة، (414/7 ، 415): « ونقل الإمام عن الأصوليين أن إضمار التورية، أي: فيما لا يحتملها كما هو واضح لا يفيد، فيكفر باطنًا أيضًا لحصول التهاون منه».اهـ.

* **وفي الفتاوى الهندية** (309/2): «رجل كفر بلسانه طائعًا وقلبه مطمئن بالإيمان يكون كافرًا، ولا يكون عند الله مؤمنًا، كذا في فتاوى قاضيخان».اهـ.

* فمن تكلم بلفظ صريح في الكفر كُفِّر، ولا يسأل عن مراده ولا يقبل له تأويل إلا أن يكون لا يعرف ذلك المعنى الصريح؛ بل يظن أن معناه غير ذلك، فإن هذا اللفظ بالنسبة إليه ليس له حكم الصريح.

* وأما من نطق بكلام له معنيان: أحدهما كفري، والآخر ليس بكفري، فهذا إذا لم يُرِد المعنى الكفري فلا يكفر، مثال ذلك أن يقول شخص: «هذا خير من الله»، إذا رأى نعمة، كأن رأى عالمًا جليلًا تقيًّا ناصحًا للناس شفوقًا عليهم، فإنه إن أراد أنه خير من عند الله فلا يكفر، ولا بأس بذلك، وهذا فهم من ينطق بها غالبًا، وإن أراد به أن ذلك العالم هو أفضل من الله فيكفر. ثم إن الكفر الصريح يُخرج قائله من الإسلام، سواء كان الشخص عالمًا بالحكم أم لا. ولا يشرط للوقوع في الكفر انشراح الصدر بالإجماع، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «قلت: وممن جنح إلى بعض هذا البحث الطبري في تهذيبه، فقال بعد أن سرد أحاديث الباب [يعني: أحاديث الخوارج] فيه الرد على قول من قال: لا يخرج أحد من الإسلام من أهل القِبلة بعد استحقاقه حكمه إلا بقصد الخروج منه عالمًا، فإنه مبطل لقوله ﷺ في الحديث: «**يقولونَ الحقَّ ويَقرؤونَ القرءانَ، ويَمرُقونَ منَ الإسلامِ ولا يَتعلَّقونَ منهُ بشيءٍ** ». ثم قال: «وفيه أن من المسلمين من يخرج من الدّين من غير أن يقصد الخروج منه، ومن غير أن يختار دينًا على دين الإسلام».اهـ. ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، 252/22 – 256.

* قال الشيخ تقي الدّين السبكي في فتاويه المشهورة: «ولا ينجيهم [أي الخوارج] اعتقاد الإسلام إجمالًا والعمل بالواجبات عن الحكم بكفرهم، كما لا ينجي الساجد للصنم ذلك».اهـ. وفي ذلك أوضح بيان أن ما ينسب إلى السبكي مما يخالف هذا المعنى فاسد، وأن السبكي بريء منه.

* قال الطحاوي في عقيدته (ص21): «ولا نكفّر أحدًا من أهل القِبْلَة بذنب ما لم يستحله».اهـ. وقد اختلط على بعض الناس فهم هذه الكلمة، ولذلك أنقل هنا شرحًا لها.

قال المحدث الشيخ محمد أنور شاه الكشميري المتوفى سنة 1352هـ في كتابه «**إكفار الملحدين**» (ص42): «أهل القِبلة في اصطلاح المتكلمين من يصدق بضروريات الدّين، أي: الأمور التي علم ثبوتها في الشرع واشتهر، فمن أنكر شيئًا من الضروريات؛ كحدوث العالم وحشر الأجساد وعلم الله سبحانه بالجزئيات وفرضية الصلاة والصوم لم يكن من أهل القبلة، ولو كان مجاهدًا بالطاعات، وكذلك من باشر شيئًا من أمارات التكذيب كسجود للصنم والإهانة بأمر شرعي والاستهزاء عليه، فليس من أهل القبلة؛ ومعنى عدم تكفير أهل القبلة أن لا يُكفَّر بارتكاب المعاصي ولا بإنكار الأمور الخفية غير المشهورة، هذا ما حققه المحققون فاحفظه».اهـ.

* قال الحافظ الفقيه الحنفي اللغوي خاتمة اللغويين محمد مرتضى الزبيدي (**الإتحاف**، 333/5): «وقد ألَّف فيها غير واحد ومن الأئمة من المذاهب الأربعة رسائل [في بيان الكلمات الكفرية]».اهـ.

* الاستثناءات من الكفر اللفظي: يستثنى من الكفر اللفظي:

حالة سبق اللسان: أي أن يتكلم بشيء من ذلك من غير إرادة؛ بل جرى على لسانه ولم يقصد قوله بالمرة، بأن أراد أن يتكلم بكلام غير كفري فأخطأ لسانه فخرجت منه كلمة كفرية من دون قصد منه للنطق بها، لا يكفر. كمن أراد أن يقول: «اللَّهُمَّ أنت ربي وأنا عبدك»، فقال من شدة فرحه: «اللَّهُمَّ أنت عبدي وأنا ربك». كما ذكر سيدنا محمد ﷺ. مسلم، صحيح مسلم، (كتاب التوبة، باب الحض على التوبة والفرح بها، 4/ 2104).

حالة غيبوبة العقل: أي عدم صَحْو العقل، لارتفاع التكليف حينذاك، ويشمل هذا النائم والمجنون ونحوهما.

حالة الإكراه: فمن نطق بالكفر بلسانه مكرهًا بالقتل ونحوه وقلبه مطمئن بالإيمان فلا يكفر، قال الله تعالى: {وَلَكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللهِ} [النحل: 106].

والعجب أن بعض الناس يوردون حديث: «إنما الأعمالُ بالنياتِ»، (البخاري، صحيح البخاري، بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله، 1/ 3) في غير محله، فيضلون ويُضلون غيرهم، فإنهم يوردونه لدفع تكفير من يتكلم بالكفر عمدًا على وجه المزاح أو حال الغضب، ومن فرط الجهل المؤدي إلى الكفر احتجاج بعض هؤلاء بقول الله تعالى: {لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ} [البقرة: 225] فظنوا أن هذه الآية معناها أن الإنسان لا يكفر إذا لم يقصد بكلام الكفرِ الكفرَ، ومعنى هذه الآية أن من حلف بلا إرادة كقول: «لا والله» و«بلى والله» بدون إرادة، لا يكتب عليه ذلك، وفَرْق بين الأَيْمان التي هي جمع يمين وهو القَسَم، وبين التلفظ بكلام الكفر، فلا مناسبة بين هذه الآية وبين مسألة من تلفظ بالكفر وهو لا يقصد الكفر.

حالة الحكاية لكفر الغير: فلا يكفر الحاكي كفر غيره على غير وجه الرضى والاستحسان؛ ومستندنا في استثناء مسألة الحكاية قول الله تعالى: {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ} [التوبة: 30] {وَقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ} [المائدة: 64].

ثم الحكاية المانعة لكفر حاكي الكفر إما أن تكون في أول الكلمة التي يحكيها عمن كفر، وإما بعد ذكره الكلمة عقبها وقد كان ناويًا أن يأتي بأداة الحكاية قبل أن يقول كلمة الكفر، فلو قال: المسيح ابن الله قول النصارى أو قالته النصارى، فهي حكاية مانعة للكفر عن الحاكي.

حالة كون الشخص متأولًا: باجتهاده في فهم الشرع، فإنه لا يكفر المتأول، إلا إذا كان تأوله في القطعيات فأخطأ فإنه لا يُعذر، كتأول الذين قالوا بقِدَم العالم وأزليته، كابن تيمية.

.....

وأما مثال من لا يكفر ممن تأول، فهو كتأول الذين منعوا الزكاة في عهد أبي بكر τ، بأن الزكاة وجبت في عهد الرسول ﷺ، لأن صلاته كانت عليهم سكنًا لهم وطُهرة، أي رحمة وطمأنينة، وأن ذلك انقطع بموته، فإن الصحابة لم يكفروهم لذلك لأن هؤلاء فهموا من قوله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ} [التوبة: 103] أن المراد من قوله: {خُذْ} [التوبة: 103]، أي: يا محمد الزكاة، لتكون إذا دفعوها إليك سكنًا لهم، وأن هذا لا يحصل بعد وفاته، فلا يجب عليهم دفعها، لأنه قد مات، وهو المأمور بأخذها منهم، ولم يفهموا أن الحكم عام في حال حياته وبعد موته؛ ومن هنا يعلم أنه ليس كل متأول يمنع عنه تأويله التكفير، لأن التأول مع قيام الدليل القاطع لا يمنع التكفير عن صاحبه.

- الردة الفعلية[1] كإلقاء المصحف في القاذورات وكالدوس على المصحف.
- الردة القلبية[2] كاعتقاد أن الله جسم أو روح أو أنه جالس على العرش أو أنه يسكن السماء أو في كل مكان بذاته أو أنه في جهة.

قال تعالى: {وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ} [التوبة: 74]، وقال تعالى: {لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ} [فصلت: 37].

الحديث: «**إنَّ العبدَ لَيتكلَّمُ بالكلمةِ ما يتبيَّن فيها يَزِلُّ بها في النارِ أبْعَدَ ممَّا بينَ المَشْرِقِ**». البخاري، **صحيح البخاري**، (كتاب الرقاق، باب حفظ اللسان، 2377/5)[3].

1() تكون بالفعل، ومحلها الجوارح. ومن الردة الفعلية الجلوس على موضع فيه آية أو اسم الله وهو يعلم، والسجود لصنم، وكذا كتابة الفاتحة بالبول أو الدم ولو كان لغرض الاستشفاء، فليحذر مما وُجد منسوبًا إلى ابن عابدين في حاشيته، فهو مردود بدليل ما ذكره في ثَبته أنه لا يجوز ذلك. ابن عابدين، **ثبت خاتمة المحققين**، ص187.

2() محلها القلب، ومنها: إنكار ما علم علمًا ظاهرًا، يشترك في معرفته العلماء والعامة من المسلمين، إلا أن يكون نحو حديث عهد بإسلام، أو نشأ في بادية بعيدة عن العلماء، شرط أن يكون غير عالم بأن هذا من دين الإسلام، وشرط أن يكون هذا الأمر غير نحو تنزيه الله عن الشبيه وعن المكان. قال تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا} [الحجرات: 15] لأن الارتياب (الشك) يكون بالقلب.

3() عدّ الكثير من الفقهاء الألفاظ المخرجة من الإسلام، كالفقيه الحنفي بدر الرشيد، وهو قريب من القرن الثامن الهجري في رسالته، وأبي علي عمر السكوني المالكي المتوفى 717هـ في كتابه «لحن العامة والخاصة في المعتقدات». وكذا الفتاوى الهندية، الجزء الثاني، في نحو مائة صحيفة. وكذا كتاب تعليم الواجبات الدّينية الصادر من مكتب التوجيه والإرشاد باليمن، ألَّفَهُ واطلع عليها مائة شيخ من الأزهر واليمن. فينبغي الاطلاع على ذلك، فإن من لم يعرف الشر يقع فيه، فليُحذر.

* يجب على من وقعت منه ردة أن يعود فورًا إلى الإسلام بالنطق بالشهادتين، والإقلاع عما وقعت به الردة، ولا يكفي للدخول في الإسلام قول: أستغفر الله بدل الشهادتين، فهذه المسألة من المهمات، لأن كثيرًا من الناس يقعون في الردة بسب الله أو غير ذلك، ثم يقولون: أستغفر الله أستغفر الله، من دون أن يقولوا الشهادتين، وهؤلاء لا ينفعهم قول: أستغفر الله؛ بل يزيدهم كفرًا، وهذا كثير في بعض البلاد، فليُنبَّهوا وليُعَلَّموا الصواب. كما يجب عليه الندم والعزم على أن لا يعود لمثله، وهما شرطان واجبان للتوبة، لكن ليسا شرطًا لصحة الرجوع إلى الإسلام.

س41: ما الدليل على جواز الاحتفال بالمولد النبوي الشريف[1]؟

قال الله تعالى: {وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْرِحُونَ} [الحج: 77].

الحديث: «**مَن سَنَّ في الإسلام سُنّةً حسَنةً فله أجرُها**»[2] الحديثَ. مسلم، **صحيح مسلم**، (كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة [...]، 704/2).

1() روى مسلم في صحيحه (كتاب فضل الصيام، باب استحباب ثلاثة أيام من كل شهر [...]، 218/2) حين سئل النبي ﷺ عن صوم يوم الاثنين قال: «**ذاكَ يومٌ وُلدتُ فيهِ**».

* من البدع الحسنة الاحتفال بمولد الرسول ﷺ، فهذا العمل لم يكن في عهد النبي ﷺ ولا الصحابة، وإنما أُحدث في أوائل القرن السابع للهجرة، وأول من أحدثه المظفر ملك إربل، وكان عالمًا سُنّيًّا تقيًّا شجاعًا، جمع لهذا كثيرًا من العلماء، فيهم من أهل الحديث والصوفية الصادقين، فاستحسن ذلك العملَ العلماءُ في مشارق الأرض ومغاربها. وقد تقدَّم ذلك عند الكلام على البدعة الحسنة مع الأدلة والكتب والإلحاق بالمصورات.

2() فإن قيل: هذا معناه من سَنَّ في حياة رسول الله ﷺ، أما بعد وفاته فلا. فالجواب أن يقال: لا تثبت الخصوصية إلا بدليل. وهنا الدليل يعطي خلاف ما يدّعون، حيث إن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ سنَّ في الإسلامِ**»، ولم يقل: من سن في حياتي، ولا قال: من عمل عملًا أنا عملته فأحياه، ولم يكن الإسلام مقتصرًا على الزمن الذي كان فيه رسول الله ﷺ، فبطل زعمهم.

فإن قالوا: سبب الحديث أن أناسًا فقراء شديدي الفقر يلبسون النِّمارِ (وهو شيء يعمل من صوف وشعر، خرقوا وسطه وأدخلوه على رؤوسهم، ليس معه شيء غيره يلبسونه، وهو شيء يلبس للبرد عادةً) جاؤوا، فتمعّر وجه رسول الله ﷺ لما رأى من بؤسهم، فتصدق الناس حتى جمعوا لهم شيئًا كثيرًا، فتهلل وجه رسول الله ﷺ فقال: «**مَن سَنَّ في الإسلامِ سنةً حسنةً فلهُ أجرُها وأجرُ مَن عَمِلَ بها**»، فالجواب أن يقال: «إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب»، كما هو مقرر عند علماء الأصول، ومن أنكر ذلك فهو مكابر.

* **تنبيهات:**

1- هناك كتب أُلّفت في المولد، فيها الكذب الصريح المفترى، منها: كتاب نُسب إلى الحافظ ابن حجر العسقلاني وليس له، وكتاب نُسب إلى الحافظ ابن الجوزي وليس له، وهو المسمّى «مولد العروس، فيجب اجتناب هذين وما أشبههما.

2- التحذير من فهم بعض الناس للرؤيا التي تُنسب للعباس τ في أبي لهب، أن أبا لهب يرتاح كل اثنين في نار جهنم، لأنه في هذا اليوم عندما ولد النبي أعتق جارية فرحًا بولادة ابن أخيه. فهي إن ثبتت فمجرَّد رؤيا لا تردّ النصوص أن الكافر لا يرتاح من العذاب في الآخرة طرفة عن، ولا في قبره. يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني (**فتح الباري**) (287/15، 288): «لكنه مخالف لظاهر القرءان، قال الله تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان: 23] وأجيب أولًا بأن الخبر مرسل، أرسله عروة، ولم يذكر من حدّثه به، وعلى تقدير أن يكون موصولًا، فالذي في الخبر رؤيا منام فلا حجة فيه، ولعل الذي رآها لم يكن إذ ذاك أسلم بعدُ، فلا يحتج به [...] وأما عياض فقال: «انعقد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب، وإن كان بعضهم أشد عذابًا من بعض [...] وقال ابن المُنيّر في الحاشية: «هنا قضيتان إحداهما محال، وهي اعتبار طاعة الكافر مع كفره، لأن شرط الطاعة أن تقع بقصد صحيح، وهذا مفقود من الكافر. الثانية إثابة الكافر على بعض الأعمال تفضلًا من الله تعالى، وهذا لا يحيله العقل، فإذا تقرر ذلك لم يكن عتق أبي لهب لثويبة قُرْبةً معتبرة [...] والمتبع في ذلك التوقيف نفيًا وإثباتًا»».اهـ.

.....

* قال الشيخ العيني في «**عمدة القاري**» (95/20): «ومذهب المحققين أن الكافر لا يخفف عنه العذاب بسبب حسناته في الدنيا؛ بل يوسع عليه بها في دنياه. وقال القاضي عياض: «انعقد الإجماع على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا تخفيف عذاب، ولكن بعضهم أشد عذابًا بحسب جرائمهم».اهـ. وقال الكرماني: «لا ينفع الكافر العمل الصالح إذ الرؤيا ليست بدليل».اهـ».اهـ.

س42: ما المراد بقول الرسول ﷺ: «إذا سألتَ فاسألِ اللهَ، وإذا استعنتُ فاستعِنْ باللهِ» (الترمذي، **سنن الترمذي**، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب 59، 667/4)؟

هذا معناه أنه من باب الأَوْلى أن الذي يُسأل هو الله، وأن الذي يُستعان به هو الله، وليس معناه لا تسأل غير الله ولا تستعن بغير الله. وهذا كحديث ابن حبّان في صحيحه (كتاب البر والإحسان، باب الصحبة والمجالسة، ذكر الزجر عن أن يصحب المرء إلا الصالحين ويُؤكل طعامه إلا إياهم، 557/1): «**لا تَصْحَبْ إلا مؤمنًا، ولا يأكلْ طعامَكَ إلا تقيٌّ**[1]».

1() المتوسل القائل: «اللَّهُم إني أسألك بنبيك أو بأبي بكر أو بأويس القرني» أو نحو ذلك، سأل الله لم يسأل غيره، فأين الحديث وأين دعوى الوهابية؟! ثم إن الحديث ليس فيه أداة نهي، لم يقل الرسول لابن عباس: لا تسأل غير الله، ولا تستعن بغير الله، ولو ورد بلفظ النهي، فليس كل أداة نهي للتحريم، كحديث الترمذي في سننه (كتاب الزهد، باب ما جاء في صحبة المؤمن، 4/ 600) «**لا تُصاحبْ إلّا مؤمنًا، ولا يأكلْ طعامَكَ إلّ تقيٌّ**». فهذا الحديث مع وجود أداة النهي فيه ليس دليلًا على تحريم أن يطعم الرجل غير تقي، وإنما المعنى أن الأَوْلى أن تطعم طعامك التقي. فمعنى الحديث الأَوْلى بأن تسأله وتستعين به الله. أما قوله تعالى: {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة: 5] فإنه يفيد أنه يُستعان بالله الاستعانةَ الخاصة، أي: أن الله يخلق للعبد ما ينفعه من أسباب المعيشة وما يقوم عليه أمر المعيشة، وليس المعنى أنه لا يستعان بغير الله مطلق الاستعانة، بدليل ما جاء في الحديث الذي رواه مسلم في الصحيح (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرءان، 2074/4): «**واللهُ في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيهِ**». وذلك في الخير خاصة، وليس المراد عون العبد للعبد على الشر.

* ومن الدليل على جواز التوسل بالأنبياء والصالحين:

أخرج البزار في مسنده (181/11) من حديث عبد الله بن عباس عن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ للهِ ملائكةً سيَّاحينَ في الأرض سِوى الحَفَظَةِ يَكتُبونَ ما يَسْقُطُ مِن ورقِ الشَّجرِ، فإذا أصابَ أحدَكم عَرْجَةٌ بأرضٍ فَلاةٍ فلْيُنادِ: أَعينُوا عبادَ اللهِ**». قال الحافظ الهيثمي في «**مجمع الزوائد**» (273/20): «رواه البزار، ورجاله ثقات».اهـ.

حديث أبي سعيد الخدري τ الذي حسَّنه الحافظ ابن حجر العسقلاني في «**نتائج الأفكار في تخريج أحاديث الأذكار**» (268/1)، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا خرجَ الرجلُ مِن بيتِهِ إلى الصلاةِ فقال: «اللَّهُمَّ إنِّ أسألُكَ بحقِّ السَّائلينَ عليكَ وبحقِّ مَمْشايَ هذا، فإنِّي لمْ أخرُجْ أشرًا ولا بَطَرًا ولا رِياءً ولا سُمعةً، خرجتُ اتِّقاءَ سَخَطِكَ، وابتغاءَ مرضاتِكَ، أسألُكَ أنْ تُنقذَني منَ النارِ وأنْ تغفرَ لي ذنوبي، إنه لا يغفرُ الذنوبَ إلّا أنتَ»، وكَّلَ اللهُ بهِ سبعينَ ألفَ ملَكٍ يستغفرونَ لهُ، وأقبلَ اللهُ عليهِ بوجهِهِ** [برحمته] **حتّى يَقضيَ صلاتَهُ**».

روى الحافظ الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (تاريخ مدينة السلام) (445/1) (مرّ سابقًا) بسنده إلى الشافعي أنه يقول: «إني لأتبرّ بأبي حنيفة، وأجيء إلى قبره كل يوم [يعني: زائرًا]، فإذا عرَضَت لي حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره، وسألت الله تعالى الحاجة عنده، فما تبعد عنّ حتى تُقضى».اهـ.

وهذا الخليفة المنصور العباسي عندما حج وزار قر النبي ﷺ، سأل الإمام مالكًا قائلًا: «يا أبا عبد الله، أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل رسول الله ﷺ؟»، قال مالك: «ولِمَ تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك ءادم υ إلى الله تعالى؛ بل استقبله واستشفع به فيشفعه الله». ذكره القاضي عياض في «الشفا» (520/2)، والسمهودي في «**خلاصة الوفا**» (110، 111)، وأخبر أن القاضي عياضًا ساقه بسند جيد.

.....

وقد روى البيهقي في دلائل النبوة (489/5) عن عمر τ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لمَّا اقترفَ ءادمُ الخطيئةَ قال: «يا ربُّ أسألُكَ بحقِّ محمَّدٍ إلَّا ما غفرتَ لي »، فقال اللهُ Y** [وهو أعلم بآدم وكلّ الكون]: «**يا ءادمُ، كيفَ عرفتَ محمَّدًا ولمْ أخلقْهُ؟»، قال: «لأنَّكَ يا ربُّ، لمَّا خلقتَني بيدِكَ** [بقدرتك وعنايتكِ] **ونفختَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ** [أي أمرت الملَكَ فنفخ الروح المشرفة عندك] **رفَعْتُ رأسيَ فرأيتُ على قوائمِ العرشِ مكْتُوبًا «لا إلهَ إلَّا اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ»، فعلِمْتُ أنَّك لم تُضِفْ إلى اسمِكَ إلَّا أحبَّ الخلقِ إليكَ»»**. الحاكم، المستدرك، (كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، 2/ 672). وصحَّحه، والسبكي، **شفاء السقام**، ص 358، 359.

قال ابن الحاج المالكي المعروف بإنكاره للبدع في كتابه «المدخل»، (259/1): «فالتوسل به عليه الصلاة والسلام هو محل حطّ أحمال الأوزار وأثقال الذنوب والخطايا، لأن بركة شفاعته عليه الصلاة والسلام وعظمها عند ربّه لا يتعاظمها ذنب، إذ إنها أعظم من الجميع».اهـ.

قال الإمام أحمد المروذي (**الإنصاف** 2/ 456): «يتوسل [أي: الداعي] بالنبي ﷺ في دعائه». اهـ.

أي: الأَوْلى بالإطعام التقي وبالصحبة المؤمن، وليس معنى ذلك أنه حرام إطعام غير المؤمن أو صحبته، وقد مدح الله تعالى في القرءان المسلمين بقوله: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا}[1] [الإنسان: 8]. والأسير هنا المراد به الكافر.

وقد ورد في صحيح البخاري (كتاب أحاديث الأنبياء، باب {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ} [الكهف: 9]، 1278/3) أن ثلاثة نفر سألوا الله بصالح أعمالهم[2] ففرّج الله عنهم.

1() قال النسفي في تفسيره (578/3): «نزلت في علي وفاطمة وفضة جارية لهما والأسير المذكور في الآية كافر، ومع ذلك قالوا: {إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ} [الإنسان: 9]».

2() والحديث بطوله معروف، ويُستفاد منه أنه إذا كان التوسل بالعمل الصالح جائزًا، فكيف لا يصح بالذوات الفاضلة، كذوات الأنبياء؟! فهذا يكفي دليلًا لو لم يكن دليل سواه، للتوسل بالأنبياء والأولياء.

* لا يحرم أن يسأل الشخصُ غيرَ الله. في الكتاب والسُّنَّة والإجماع والعُرْف أنه من زمن ءادم وحتى عصرنا هذا، ما زال الناس يستعينون ببعضهم البعض، ويطرقون أبواب بعضهم البعض، ويسألون بعضهم البعض العون، ولم يأت نص واحد بتحريم هذا الأمر.

أليس الله تعالى قال: {وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَ تَنْهَرْ} [الضحى: 10]؟ وقد جاء في الأثر: «**ومَنْ سألكم بوجهِ اللهِ فأعطُوهُ**». أحمد، مسند أحمد، (249/1). وروى مسلم في صحيحه (كتاب تحريم اللعب بالنردشير، باب ما سئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا وكثرة عطائه، 1805/4): «ما سُئل رسول الله ﷺ قط فقال: لا». وروى البخاري في صحيحه (كتاب المظالم، باب لا يظلم المسلم ولا يسلمه، 862/2)، أن النبي ﷺ قال: «**ومَن كان في حاجةِ أخيهِ كان اللهُ في حاجتِهِ**». أما ما رُوي عن النبي ﷺ: «**إذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا استعنتَ فاستعِنْ باللهِ**» (الترمذي، سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة، والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ، باب 59، 667/4)، فالرسول ﷺ لم يقل: وإذا سألت فلا تسأل غير الله، وإلا إن كان الأمر كذلك لكان الله أمرنا بنهر السائل وردّ المحتاج. وأما البيتان اللذان يقولهما بعض الناس: [الكامل]

لا تسألنَّ بَنِيَّ ءادمَ حاجةً ... وسلِ الذي أبوابُهُ لا تُحْجَبُ

فاللَّهُ يَغضبُ إنْ تركتَ سُؤالَهُ ... وبَنِيُّ ءادمَ حينَ يُسألُ يَغضَبُ

فليسا دليلًا شرعيًّا، فلا حاجة للكلام عليهما زيادة على ما ذكرنا ونذكر.

وهناك بيت شعر عكس ذلك البيتين: [البسيط]

الناسُ للناسِ مِن بَدْوٍ ومِنْ حَضَرٍ ... بعضٌ لبعضٍ وإنْ لم يَشعُروا خَدَمُ

الله تعالى لا يغضب على عبده إن ترك سؤاله إلا في حالة واحدة، حيث إن سؤال الله فرض، وهو في قوله تعالى: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: 6] إلى ءاخر السورة وذلك في الصلاة، لأن الصلاة لا تصح بغير الفاتحة، فلذا كان السؤال فرضًا في هذه الحالة، وعلى هذا يكون معنى الحديث إن صح، ومعنى الآية: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} [الفاتحة: 6] ثبّتنا على الإسلام.

* وفي كتاب الله تعالى: {وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} [الأحزاب: 53] فهذه الآية عن نساء النبي ﷺ، فالله I لم يقل: وإذا سألتموهن سؤالًا بل قال: {مَّتَاعًا} [عبس: 32]، فالله أرشدنا إلى طريقة سؤال هذا المتاع، ولو كان في الأمر ذلة وخضوع غير مشروع لغير الله فكيف يرشدنا الله لهذا الأمر؟!

* وقال تعالى: {وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ} [البقرة: 177]، فانظر إلى قوله تعالى يمدح من كانت هذه الصفة فيه، ومن جملة ذلك إعطاء المال للسائلين، ثم إن الله تعالى ذم في القرءان الكريم من كانت هذه صفته {وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ} [الماعون: 7].

.....

* وفي قوله الله إخبارًا عن سيدنا يوسف υ: {وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ} [يوسف: 42]، فهل يُعترض على سيدنا يوسف υ، لأنه سأل المخلوق ولم يسأل الخالق، ألم يقل له: {اذْكُرْنِي} [يوسف: 42]؟ ألم يسأله؟ فيوسف υ لم يقل: اللَّهُمَّ ألهم هذا الرجل أن يذكرني عند سيده، من غير طلب من السجين الذي كان معه؛ بل طلب من السجين، فهل خضع وذل يوسف لغير الله؟!

* وهذا ذو القرنين الذي ورد ذكره في القرءان الكريم في سورة الكهف، والذي قيل فيه: نبي، وقيل: ولي، قد شكا له قوم من يأجوج ومأجوج، فأخبر الله عنه: {قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا} [الكهف: 95]، فذو القرنين طلب العون منهم، فأين الخضوع والذل لغير الله في ذلك؟!

س 43: ما الدليل على جواز زيارة قبر النبي ﷺ للرجال والنساء؟

تسن زيارة قبر النبي ﷺ بالإجماع، نقل ذلك القاضي عياض[1].

1() قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: «وزيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم سُنَّة بين المسلمين مجمع عليها، وفضيلة مرغب فيها».اهـ. القاضي عياض، **الشفا**، 2/ 582.

* قال الحافظ يحيى النووي في كتاب **متن الإيضاح** (ص 156): «إذا انصرف الحجاج والمعتمرون من مكة فليتوجهوا إلى مدينة رسول الله ﷺ لزيارة تربته ﷺ فإنها من أهم القربات وأنجح المساعي».اهـ. ابن حجر الهيتمي، **حاشية الهيتمي على شرح الإيضاح في مناسك الحج**، ص 488.

* وقد أورد الشيخ تقي الدّين الحصني في كتابه «دفع شبه من شبَّه وتمرّد» نقولًا كثيرة عن أئمة من المذاهب الأربعة في معنى ما قاله الحافظ النووي. الحصني، **دفع شبه من شبَّه وتمرّد**، (ص 142) وردَّ فيه على ابن تيمية.

* قال الحافظ تقي الدّين السبكي في **شفاء السقام** (ص 184): «فيما ورد في السفر إلى زيارته ﷺ صريحًا، وبيان أن ذلك لم يزل قديمًا وحديثًا، وممن روى ذلك عنه من الصحابة بلال ابن أبي رباح τ مؤذن رسول الله ﷺ، سافر من الشام إلى المدينة المنورة لزيارة قبره صلى الله تعالى عليه وسلم، روينا ذلك بإسناد جيد إليه، وهو نص في الباب».اهـ. ثم أفاض السبكي في **شفاء السقام** (ص202) في نقل استحبابها عن أعيان من العلماء من المذاهب الأربعة، فنقل ذلك عن الشافعية: عن القاضي أبي الطيب الطبري والمحاملي والحليمي والماوردي والروياني والقاضي حسن والشيخ أبي إسحاق الشيرازي. وعن الحنفية: عن أبي منصور الكرماني في مناسكه، وعبد الله بن محمود في شرح المختار، وأبي الليث السمرقندي في فتاويه، والسروجي في الغاية. وعن الحنابلة: عن أبي الخطاب الكواذاني في الهداية، وأبي عبد الله السامري في المستوعب، ونجم الدّين بن حمدان في الرعاية الكبرى. وعن المالكية: عن أبي عمران الفاسي، والشيخ ابن أبي زيد. ثم ذكر السبكي (ص 231 ، 232) حديث أبي داود في سننه (كتاب المناسك، باب زيارة القبور، 169/2) : «ولا تجعلُوا قبري عيدًا»، وأجاب عنه بثلاثة أجوبة:

يحتمل أن يكون المراد به الحث على كثرة زيارة قبره ﷺ، وأن لا يهمل حتى لا يزار إلا في بعض الأوقات كالعيد الذي لا يأتي في العام إلا مرتين.

ويحتمل أن يكون المراد: لا تتخذوا له وقتًا مخصوصًا لا تكون الزيارة إلا فيه، وزيارة قبره ﷺ ليس لها يوم بعينه؛ بل أيّ يوم كان.

ويحتمل أن يراد أن لا يُجعل كالعيد في العكوف عليه وإظهار الزينة والاجتماع وغير ذلك مما يعمل في الأعياد؛ بل لا يؤتى إلا للزيارة والسلام والدعاء، ثم ينصرف عنه، والله أعلم بمراد نبيه ﷺ.

* قال الحافظ أبو زرعة العراقي في «**طرح التثريب في شرح التقريب**» (43/6): «استدل به على أنه لو نذر إتيان مسجد المدينة لزيارة قبر النبي ﷺ لزمه ذلك، لأنه من جملة المقاصد التي يؤتى لها ذلك المحل، بل هو أعظمها، وقد صرّح بذلك القاضي ابن كج [يوسف بن أحمد] من أصحابنا، فقال: عندي إذا نذر زيارة قبر النبي ﷺ لزمه الوفاء وجهًا واحدًا، ولو نذر أن يزور قبر غيره فوجهان، وللشيخ تقي الدّين ابن تيمية هنا كلام بشع عجيب يتضمن منع شد الرحل للزيارة وأنه ليس من القرب بل بضد ذلك وردَّ عليه الشيخ تقي الدّين السبكي في «شفاء السقام» فشفى صدور المؤمنين. وكان والدي رحمه الله يحكي أنه كان معادلًا للشيخ زين الدّين عبد الرحيم بن رجب الحنبلي في التوجه إلى بلد الخليل υ، فلما دنا من البلد قال: نويت الصلاة في مسجد الخليل، ليحترز عن شد الرحل لزيارته على طريقة ابن تيمية، قال: فقلت: نويت زيارة قبر الخليل υ، ثم قلت له: أما أنت فقد خالفت النبي ﷺ، لأنه قال: «**لا تُشدُّ الرحالُ إلا إلى ثلاثةِ مساجدَ**»، (البخاري، صحيح البخاري، أبواب التطوع، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، 1/ 398) وقد شددت الرحل إلى مسجد رابع، وأما أنا فاتبعت النبي ﷺ لأنه قال: «زوروا القبورَ»، أفقال: إلا قبور الأنبياء، قال: فبُهت».اهـ.

.....

* ولا يُغتر بإنكار ابن تيمية لسنّ زيارته ﷺ، فإنه عبد أضله الله، كما قال علماء كثيرون وأطالوا في الرد عليه، ووقوعه في حق رسول الله ﷺ ليس بعجب، فإنه وقع في حق الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوًّا كبيرًا، فنسب إليه العظائم، كقوله: إن لله تعالى جهة، ولقد كفّره كثير من العلماء، عامله الله بعدله، وخذل متبعيه الذين نصروا ما افتراه على الشريعة الغراء.

قال تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ[1] لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا} [النساء: 64].

الحديث: «**مَن زارَ قبري وجَبَت له شَفاعتي**». الدارقطني، **سنن الدارقطني**، (باب المواقيت، 334/3)[2].

وأما حديث البخاري في الصحيح (أبواب التطوع، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، 398/1): «**لا تُشَدُّ الرحالُ إلَّا إلى ثلاثةِ مساجدَ**» الحديثَ، فمعناه: من أراد السفر لأجل الصلاة في مسجد ينبغي أن يسافر لهذه المساجد الثلاثة، لأن الصلاة فيها تتضاعف[3]، ويحمل هذا على الندب لا على الوجوب. فالحديث مخصوص بالسفر لأجل الصلاة، وليس فيه أنه لا تجوز زيارة قبر النبي عليه الصلاة والسلام.

1() ينبغي لكل مسلم اعتقاد كون زيارته ﷺ قربة أي طاعة لله، للأحاديث الواردة في ذلك ولقوله تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ} [النساء: 64]، فتعظيمه ﷺ لا ينقطع بموته، ولا يقال: إن استغفار الرسول ﷺ لهم إنما هو في حال حياته، وليست الزيارة كذلك؛ فالجواب أن الآية دلت على تعليق وجدان الله توابًا رحيمًا بثلاثة أمور: المجيء، واستغفار الرسول لهم، وقد حصل استغفار الرسول ﷺ لجميع المؤمنين، لأنه ﷺ استغفر للجميع، قال الله تعالى: {وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ} [محمد: 19]، فإذا وَجَدَ مجيئهم أو استغفارهم تكاملت الأمور الثلاثة الموجبة لتوبة الله تعالى ورحمته. لأن لفظ الآية عام لا تخصيص فيه بحياة رسول الله ﷺ.

2() ذكر السيوطي في «**مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا**» (ص208) أن حديث: «**من زار قبري وجبَتْ له شفاعتي**»، حسنه الذهبي.

3() لم يفهم أحد من السلف ما فهمه ابن تيمية من قوله بتحريم السفر لزيارة قبر النبي ﷺ، من حديث: «**لا تشدُّ الرحالُ**» الحديثَ؛ بل زيارة قبر الرسول ﷺ سُنَّة، سواء كانت بسفر أم بغير سفر كسكان المدينة، والحنابلة قد نصوا كغيرهم على كون زيارة قبر النبي ﷺ سُنَّة، سواء قصدت بالسفر لأجلها أم لم تقصد بالسفر لأجلها، وحديث: «**لا تشدُّ الرحالُ**» الحديث معناه الذي فهمه السلف والخلف أنه لا فضيلة زائدة في السفر لأجل الصلاة في مسجد إلا السفر إلى هذه المساجد الثلاثة، لأن الصلاة تتضاعف فيها إلى مائة الف وذلك في المسجد الحرام، وإلى ألف وذلك في مسجد الرسول، وإلى خمسمائة وذلك في المسجد الأقصى، فالحديث المراد به السفر لأجل الصلاة، ويبيّن ذلك ما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده (64/3) من طريق شهر بن حوشب أنه قال: «ذكرت عند أبي سعيد الخدري τ الصلاة في الطور، فقال أبو سعيد: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا ينبغي للمَطِيِّ أنْ تُعْمَلَ إلى مسجدٍ تُبتغى فيهِ الصلاةُ غيرُ المسجدِ الحرامِ والمسجدِ الأقصى ومسجدِي هذا**». وهو مبين لمعنى الحديث السابق، وتفسير الحديث بالحديث خير من تحريف ابن تيمية وتحريمه زيارة قبر النبي ﷺ، وهي من أبشع المسائل المنقولة عنه. قال الحافظ العراقي في ألفيته في مصطلح الحديث (ص161): [الرجز] «وخيرُ ما فسَّرتَهُ بالواردِ».اهـ.

وقال رسول الله ﷺ: «**لَيهبِطنَّ عيسى ابنُ مريمَ حَكَمًا عدْلًا وإمامًا مُقسِطًا، ولَيَسلكَنَّ فجًّا حاجًّا أو معتمرًا أو بنيّتِهما وليأتينَّ قبري حتى يُسلِّمَ عليَّ ولَأُردَّنَّ عليهِ**». صححه الحافظ أبو عبد الله الحاكم في مستدركه، (كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، 651/2).

س44: ما الدليل على جواز التبرك بالأنبياء والأولياء؟

التبرك بالنبي محمد ﷺ وآثاره جائز.

قال تعالى حكايةً عن يوسف ʊ: {اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا} [يوسف: 93][1].

الحديث: الرسول ﷺ قسم شعره ووزعه بين الناس ليتبركوا به[2]. البخاري، **صحيح البخاري**، (كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان، 74/1). ومسلم، **صحيح مسلم**، (كتاب الحج، باب بيان السُّنَّة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر للناس [...]، 947/2).

1() لمَ لم يدعُ لأبيه فقط؟ ولمَ قال لهم: خذوا قميصي؟ هذا يدل على أن التبرك جائز.

2() شعر النبي ﷺ لا يوزع ليؤكل، إنما لأجل التبرك.

* والتبرك هو طلب البركة من الله، كما أن الدواء لا يخلق الشفاء، كذلك القميص لا يخلق الشفاء، إنما الله خالق الشفاء في الحالتين.

* أخرج مسلم في الصحيح (كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة، 3/ 1641) عن مولى أسماء بنت أبي بكر ﷺ قال: «أخرجت إلينا جبة طيالسة كسروانية، لها لبنة ديباج وفرجيها مكفوفين، وقالت: «هذه جبة رسول الله ﷺ كانت عند عائشة، فلما قُبضت قبضتها، فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها»، وفي رواية: «نغسلها للمريض منا»».اهـ.

* عن ثابت البناني التابعي قال: «كنت إذا أتيت أنَسًا يُخَبر بمكاني، فأدخل عليه فآخذ بيديه فأقبّلهما وأقول: بأبي هاتان اليدان اللتان مستا رسول الله، وأقبّل عينيه وأقول: بأبي هاتان العينان اللتان رأتا رسول الله».اهـ. أبو يعلى، مسند أبي يعلى، (211/6) والحافظ الهيثمي، **مجمع الزوائد**، (ص 209) يوثّق أن رجاله رجال الصحيح.

* عن داود بن أبي صالح قال: «أقبل مروان يومًا، فوجد رجلًا واضعًا وجهه على القبر، فقال: أتدري ما تصنع؟ فأقبل عليه، فإذا هو أبو أيوب τ فقال: نعم، جئتُ رسولَ الله ﷺ ولم آتِ الحجر، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تَبْكُوا على الدِّينِ إذا وَلِيَهُ أَهْلُهُ، ولكنِ ابْكُوا عليه إذا وَلِيَهُ غيرُ أَهْلِهِ**». أحمد، مسند أحمد، (422/5).

* عن حنظلة بن حِذْيَم قال: «وفدت مع جدي حذيم إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي بنين ذوي لحى وغيرهم، وهذا أصغرهم، فأدناني رسول الله ﷺ ومسح رأسي وقال: «**بارك الله فيك**»، قال الذيال: فلقد رأيت حنظلة يُؤتى بالرجل الوارم وجهه أو الشاة الوارم ضرعها، فيقول: بسم الله على موضع كف رسول الله ﷺ فيمسه فيذهب الورم».اهـ. أحمد، مسند أحمد، (262/34، 263)، والطبراني، المعجم الأوسط (191/3) والكبير (13/4، 14) بنحوه.

* وفي **سير أعلام النبلاء**، للذهبي (212/11) أن عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل قال: «رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر النبي ﷺ فيضعها على فِيه [فمه] يُقبلها، وأحسب أني رأيته يضعها على عينه ويغمسها في الماء ويشربه يستشفي به، ورأيته أخذ قصعة النبي ﷺ فغسلها في جُبّ [بئر] الماء ثم شرب فيها، ورأيته يشرب من ماء زمزم يستشفي به ويمسح به يديه ووجهه».اهـ.

* وفي كتاب «**العلل ومعرفة الرجال**» للإمام أحمد بن حنبل (492/2): «سألته عن الرجل يمس منبر النبي ﷺ ويتبرك بمسه ويقبله ويفعل بالقبر مثل ذلك أو نحو هذا، يريد بذلك التقرب إلى الله جلّ وعزَّ؟ فقال: لا بأس بذلك».اهـ.

* قصيدة: «مِنْ فَضْلِ النبي تبرّكوا»، نظم الأديب الشيخ الدكتور غانم جلول: [الرجز]

أبـــدَؤهـــا بـــقَـــولِ بِســـمِ اللهِ ... تنَـــزَّهَ الرحمـــٰنُ عـــنْ أشْـــباهِ
وأحمَـــدُ الإلَـــهَ ذا الجَـــلال ... لفضْـــلِهِ بالهَـــدي والنَّـــوالِ
ثمَّ الصَّـــلاةُ والسَّـــلامُ مِـــنَّـــا ... علـــى نـــبيٍّ للفـــلاحِ سَـــنَّا
طـريـقـةَ الـتـبَرُّكِ المـيْـمـونَـهْ ... في ذاكَ أهـــلُ العِلـــمِ يتْبَعونَـــهْ
فَـإنْ رَأيـتُـمْ مَـنْ أتاكُـمْ يـدَّعـي ... بأنَّـــهُ غَـــيرَ الهُـــدى لم يتْبَـــعِ
وقَـدْ أحَـلَّ حُـرمَـةً ضَـلالا ... مِـــنْ جَهلِـــه أو حَـــرَّمَ الحـــلالا
قُـولـوا لـهُ إذْ حـرَّمَ الـتـبَرُّكـا ... بأنَـــرِ النَّـــبيِّ زَادَ شَّـــركَا
إنَّ اقـتِسـام الشَّـعـرِ يا مُماري ... رَواهُ مُسْـــلِمٌ كـــذا البُخَـــاري(2)
وقِسـمَـةُ الأظْـفـارِ أيضًـا تُسـنَـدُ ... صَـــحِيحةً كَمـــا رَواهـــا أَحمَـــدُ(3)
وجُـبَّـةُ الـنَّـبيِّ سَـلْ أسْمـاءا ... أمَـــا رَأتْ في مائِهـــا الشِـــفاءا(4)
هـاكَ دلـيـلًا مِـنْ أبي أيُّـوبِ ... يَمَـــسُّ بالخـــدِّ ثَـــرى المحْبُـــوبِ(5)
أنـعِـمْ بـهِ رَدًّا عـلـى مَـنْ أنْـكَـرا ... جِئْـــتُ رَسُـــولَ اللهِ لـــيسَ الحَجَـــرا(6)
فَـمُسـلـمٌ أُولاهُمـا(1) رَواهـا ... صَـــحيحَةَ الإسْـــنادِ عَـــنْ مَولاهَـــا(7)
وأحمـدٌ رَوى الحـدِيـثَ الـثـانِي ... رَدَّ الصَّـــحابِيّ علـــى مَـــرْوَانِ(8)
وخـالِـدٌ لـلـجَـيـشِ في قَـلَـنسـوَهْ ... قـــالَ: «اطلُبـــوا» سَـــبَبُ ذاكَ مـــا هُـــوَهْ
لأنَّ في الـطَّـيَّـاتِ شَـعْـراتِ الـنَّـبيّ ... وذاكَ في اليرمُـوكِ يَـروي البيهَقـيّ(9)
ومَسْـحُ أحمَـدٍ لـرأسِ حَـنـظَـلَـهْ ... بكفِّـــهِ ودَاعِيًـــا بالخَـــيْرِ لَـــهْ
مَـنْ جَـاءهُ والـوجْـهُ مِـنـهُ وارِمُ ... بمسْـحَةٍ يَعُـودُ وهْـوَ سَالِـمُ(10)
بَـرَكَـةُ الـنـبيِّ طـابَ عَـرْفُـهُ ... مَوضِـعُ كَفِّـهِ فكَيـفَ كَفُّـهُ؟!
الـطـبَرَانيُّ روَى وأحمَـدُ ... مُطَـوَّلًا عَـنِ الثِّقـاتِ يُسـنِدُ
وثابِـتٌ قَـد كَـرَّر الـتـقْـبـيلا ... يَـدًا وعَيْنًـا رَأتِ الرسُـولا(11)
وأنَـسٌ عـنْ مِـثْـلِ ذاكَ مـا زَجَـرْ ... مُجَـوِّزًا رَوى أبـو يَعلـى الأثـرْ
يا إخْـوَتِي مِـنْ فَضْـلِـه تبرّكـوا تمَسَّـكو بَهَدْيـهِ لا تَتْرُكُـوا
أجَـارَهُ نـبـيُّـنـا المـعَـظَّـمُ ... ففَتِّشُـوا عَـنْ ذَيـلِ مَـنْ يُحَـرِّمُ
فـإنَّـه أخُـو الجَـهُـولِ في الـغَـبـا ... وَمِثْلَـهُ يأبى الكـريمُ يَصْـحَبا
نَـظَـمْـتُـهـا مُـرشِـدَةً عَـزيـزَهْ ... أكـرِمْ بهـا في الخـيرِ مِـنْ أُرجُـوزَهْ

1- مقصوده أن النبي ﷺ حين حلق قسمه بين الصحابة، ومعلوم أن الشعر لا يؤكل عادة، وهذه الحادثة رواها البخاري في الصحيح (كتاب الوضوء، باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان، 74/1)، ومسلم في الصحيح (كتاب الحج، باب بيان السُّنَّة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر للناس [...]، 947/2).

2- يعني بذلك أن الرسول ﷺ قسم أظفاره بين الصحابة، كما روى ذلك أحمد في مسنده، (42/14).

3- وذلك أن أسماء بنت أبي بكر ﵂ كانت تغسل جبة النبي ﷺ للمرضى يستشفون بها، كما روى مسلم، **صحيح مسلم** (كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة، 1641/3).

4- وذلك أن أبا أيوب الأنصاري τ وضع وجهه على قبر النبي ﷺ، كما روى أحمد في مسنده (422/5).

5- وذلك أن أبا أيوب τ ردَّ على مروان بن الحكم حين قال له: أتدري ما تصنع؟ فقال له: «إني أتيت رسول الله ﷺ ولم ءات الحجر».

.....

6- أي: أن مسلمًا روى في صحيحه حادثة الجبة عن أسماء بنت أبي بكر ﵂.

7- أي: مولى أسماء بنت أبي بكر ﵂ هو أخبر أن أسماء أخرجت جبة طيالسة كسروانية وقالت: «هذه جبة رسول الله ﷺ كانت عند عائشة فلما قبضت قبضتها، كان النبي يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى نستشفي بها».اهـ.

8- أي أن أحمد في مسنده (422/5) روى رد أبي أيوب τ على مروان بن الحكم حين رءاه واضعًا خده على قبر النبي ﷺ.

9- روى البيهقي في **دلائل النبوة** (باب ما جاء في قلنسوة خالد ابن الوليد واستنصاره بما جعل فيها من شعر رسول الله ﷺ، ص249) أن خالد بن الوليد τ فقد قلنسوة له يوم اليرموك فقال: «اطلبوها» فلم يجدوها، ثم طلبوها فوجدوها، فإذا هي قلنسوة خَلَقٌ أي بالية. فقال خالد τ: «اعتمر رسول الله ﷺ فحلق رأسه، فابتدر الناس جوانب شعره، فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالًا وهي معي إلا رزقت النصر».اهـ.

10- وذلك أن حنظلة كان في صغره أخذه جده إلى الرسول ﷺ وأدناه منه، فمسح الرسول ﷺ وأدناه منه، فمسح الرسول ﷺ رأسه وقال: «**باركَ الله فيكَ**»، قال الذيال: فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالرجل الوارم وجهه أو الشاة الورم ضرعها فيقول: بسم الله على موضع كف رسول الله، فيمسحه فيذهب الورم. رواه أحمد في المسند (262/34، 263)، والطبراني في معجميه الأوسط (191/3)، والكبير (13/4، 14)، فانظر أيها المنصف، إذا كان موضع كف رسول الله ﷺ فيه بركة، فكيف كفه صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟!

11- هذه الحادثة رواها الحافظ أبو يعلى في مسنده، (211/6)، وذلك أن التَّابعيَّ ثابتًا البُناني τ كان يُقبّل يدي أنس τ ويقول: «بأبي هاتان اليدان اللتان مستا رسول الله».اهـ. وفي هذا جواز تقبيل يد الرجل الصالح.

س45: ما الدليل على جواز لبس الحرز الذي فيه قرءان ونحو ذلك، وليس الذي فيه طلاسم محرمة؟

قال تعالى: {وَنُنَزِلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ} [الإسراء: 82].

قال عبد الله بن عمرو: «كنَّا نعلّم[1] صبياننا الآيات من القرءان، ومن لم يبلغ[2] نكتبها على ورقة ونعلّقها على صدره».اهـ.

الترمذي، **سنن الترمذي**، (كتاب الدعوات، عن رسول الله ﷺ، باب 94، 541/5).

1() هو يحدّث عن شيء كان يعمله هو وغيره.

2() ولو بلغ لا مانع إذا علقّ هذا الحرز.

* روى الحافظ ابن حجر العسقلاني في «**نتائج الأفكار**» (118/3): «وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُعلمنا كلمات نقولهن عند النوم من الفزع، وفي رواية إسماعيل: «**إذا فَزِعَ أحدُكم فلْيقُلْ: أعوذُ بكلماتِ اللهِ التامةِ منْ غضبِهِ وعقابِهِ ومنْ شرِّ عبادِهِ ومنْ همزاتِ الشياطينِ وأنْ يحضرونَ**». فكان عبد الله بن عمرو يعلّمها من بلغ من بنيه أن يقولها عند نومه، ومن لم يبلغ كتبها ثم علقها في عنقه. [قال الحافظ العسقلاني:] هذا حديث حسن، أخرجه الترمذي عن علي بن حُجر عن إسماعيل بن عيَّاش، وأخرجه النسائي [في عمل اليوم والليلة] عن عمرو بن علي الغلّس عن يزيد بن هارون».

* وروى ابن أبي الدنيا في كتاب «**العيال**» (868/2) عن حجاج قال: «أخبرني من رأى سعيد بن جبير يكتب التعاويذ للناس».اهـ. البيهقي، **السنن الكبرى**، (كتاب الضحايا، باب النشرة، 590/9). وأما الحديث الذي رواه أبو داود في سننه (كتاب الطب، باب تعليق التمائم، 31/6): «**إنَّ الرُّقى والتَّمائمَ والتِّولةَ شِكٌ**». فليس معناه التمائم والتعاويذ التي فيها قرءان أو ذكر الله، لكن الوهابية حرّفت الحديث، والتمائم معروف معناها في اللغة وهي الخرز كانت الجاهلية تضعها على أعناق الغلمان، كما أن الرُّقى التي قال الرسول ﷺ عنها: «**شرك**» هي رُقى الجاهلية وما كان في معناها، وليس المراد بها الرقى التي فعلها الرسول ﷺ وغيره من الصحابة، فالوهابية يُحرفون الكلم عن مواضعه.

* ومما يدل على ما ذكرنا ما رواه ابن حبان في صحيحه (كتاب الحظر والإباحة، باب التواضع والكبر والعجب، 6/ 386، 387 (من حديث ابن مسعود τ «أن رسول الله ﷺ كره عشْرًا: تغيير الشيب، وخاتم الذهب، والضرب بالكعاب، والرقى إلا بالمعوذات» الحديثَ. معنى الحديث أنه إن كان فيه معوذات {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} [الفلق: 1] و{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} [الناس: 1] وما كان من القرءان أو ذكر الله، ما نهى الرسول ﷺ عنه، إنما نهى عن التي ليس فيها قرءان ولا ذكر الله، الوهابية تكذب على الرسول ﷺ ويحرمون ذلك مطلقًا؛ بل يقولون عن لبس الحرز: إنه شرك، وفي المدينة المنورة إذا رأوا الحاج يحمل حرزًا يحاولون أن يقطعوه ويقولوا بألسنتهم: هذا شرك. كذبوا هذا ليس شركًا، إنما الشرك هو ما كان فيه عبادة للشياطين والأوثان، أما ما كان فيه ذكر الله وءايات من القرءان فالتبرك به حق.

* وفي كتاب «**مسائل الإمام أحمد**» لأبي داود السجستاني (ص349): «أخبرنا أبو بكر قال: حدَّثنا أبو داود قال: رأيت على ابنٍ لأحمد وهو صغير تميمة في رقبته من أديم. أخبرنا أبو بكر قال: حدثنا أبو داود، سمعت أحمد سُئل عن الرجل يكتب القرءان في شيء ثم يغسله ويشربه، قال: أرجو أن لا يكون به بأس».اهـ.». اهـ. ومعنى قوله: «تميمة»: حرز، ولا يعني التميمة التي هي خرزات وثبت النهي عنها بقوله عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ الرُّقى والتمائمَ والتولةَ شركٌ**». وتلك التمائم التي نهى الرسول ﷺ عنها كان أهل الجاهلية يعلقونها على أعناقهم، يعتقدون أنها بطبعها تحفظ من العين ونحوها من دون اعتقاد أنها تنفع بإذن الله، ولهذا الاعتقاد سماها الرسول ﷺ شركًا، كما أنه ذكر الرقى في هذا الحديث، لأن الرقى منها ما هي شركية ومنها ما هي شرعية، فرقى الجاهلية التي جعلها الرسول ﷺ شركًا كان فيها دعوة الشياطين والطواغيت، ومعلوم أنه كان لكل قبيلة من العرب طاغوت، وهو شيطان ينزل على رجل منهم فيتكلم على لسانه، فكانوا يعبدونه. وأما

.....

الرقى الشرعية فقد فعلها رسول الله ﷺ وعلَّمها أصحابه، وأما التمائم فإن المسلمين من عهد الصحابة كانوا يستعملونها للحفظ من العين ونحوها بتعليقها، وتتضمن شيئًا من القرءان أو ذكر الله.

* وفي كتاب «**معرفة العلل وأحكام الرجال**» (338/3) عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: «حدَّثني أبي [ثم ساق سنده] عن الشعبي قال: لا بأس بالتعويذ من القرءان يُعلَّق على الإنسان».اهـ.

* وفي كتاب «**مسائل الإمام أحمد**»، لابنه عبد الله (ص447): قال عبد الله بن أحمد: «رأيت أبي يكتب التعاويذ للذي يُصرَع وللحُمّى لأهله وقراباته، ويكتب للمرأة إذا عسر عليها الولادة في جام [وعاء] أو شيء لطيف».اهـ. شمس الدّين بن مفلح الحنبلي، **الآداب الشرعية**، 2/ 441 . ففيه من النقول عن الإمام أحمد من ذلك الشيء الكثير.

* وأما حديث: «**مَن علَّق تميمةً فلا أتمَّ اللهُ لهُ**»، وحديث: «**مَنْ تَعَلَّقَ شيئًا وُكِلَ إليهِ**»، رواهما البيهقي في السنن الكبرى، فقد قال البيهقي عقب روايته لهما ولغيرهما من الأحاديث: «وهذا كله يرجع إلى ما قلنا من أنه إن رقى بما لا يُعرف، أو على ما كان من أهل الجاهلية من إضافة العافية إلى الرقى لم يَجز، وإن رقى بكتاب الله أو بما يعرف من ذكر الله متبرّكًا به وهو يرى نزول الشفاء من الله تعالى فلا بأس به وبالله التوفيق».اهـ. البيهقي، **السنن الكبرى**، 590/9.

س46: تكلم على ذِكْر الله في الجنائز؟

ذِكْر الله في الجنائز جائز بلا خلفا.

قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا} [الأحزاب: 41][1]، وقال تعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ} [ءال عمران: 191].

الحديث: كان رسول الله ﷺ يذكر الله على جميع أحيانه. مسلم، **صحيح مسلم**، (كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها، 282/1).

1() الآية ليس فيها تقييد بمكان مخصوص أو وقت مخصوص، فلا يسوغ تحريم ذلك. وهاك نصًّا من كلام الوهابية في تحريم ذكر الله في الجنازة، قال علي عبد الحميد تلميذ الألباني في كتابه «**الموت عظاته وأحكامه**»، (ص29، 30) إنه لا يجوز قول: «وحّدوا الله» في أثناء الجنازة. وكذلك ذكر (ص 30) أنه لا يشرع حمل الجنازة على سيارة مخصصة للجنائز وتشييع المشيعيين لها وهم في السيارات، لأن ذلك من عادات الكفار.

الجواب: لم يثبت أنه من عادة الكفار، وأما بالنسبة لقول: «وحّدوا الله» خلف الجنازة فإن ذلك جائز لِما فيه من تذكير الناس بذكرِ اللهِ وإبعادِهم عن غيبة المسلم؛ بل يستحب ذكر الله في أثناء تشييع الجنازة.

س47: تكلم على التأويل.

التأويل هو إخراج النص عن ظاهره[1]، وهو جائز في الآيات والأحاديث التي يوهم ظاهرها أن الله له يد جارحة[2] أو وجه جارحة أو أنه يجلس على العرش أو يسكن في جهة أو أنه يوصف بصفة من صفات الخلق.

1() هذا من حيث الإجمال، ويشمل المقبول وغير المقبول. التأويل المقبول: إخراج النص عن ظاهره لمعنى يحتمله بدليل مقبول وليس هوى.

2() نقول: لله يد ليس كأيدينا، بمعنى الصفة.

*** شرح التأويل في القرءان والحديث:**

قال الله تعالى: {هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ} [ءال عمران: 7].

أخبرنا الله تعالى في هذه الآية أن القرءان فيه ءايات محكمات هن أم الكتاب، أي: أصل الكتاب، وأن فيه ءايات متشابهات تُردّ لفهمها إلى الآيات المحكمات.

* والآيات المحكمة: هي ما لا يحتمل من التأويل بحسب وضع اللغة إلا وجهًا واحدًا. أو ما عُرِف بوضوح المعنى المراد منه، كقوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: 11]، وقوله: {وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ} [الإخلاص: 4]، وقوله: {هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم: 65].

* وأما المتشابه: فهو ما لم تتضح دلالته أو يحتمل أوجهًا عديدة واحتيج إلى النظر لحمله على الوجه المطابق، أي: لنظر أهل النظر والفهم الذين لهم دراية بالنصوص ومعانيها، ولهم دراية بلغة العرب فلا تخفى عليهم المعاني، إذ ليس لكل إنسان يقرأ القرءان أن يفسره، كقوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5].

* وقد ذم الله الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، أي: ابتغاء الإيقاع في الأمر المحظور، لأن غرض المشبهة في جدالهم أن يوقعوا السُّنِّيَّ في اعتقادهم الباطل، والذين في قلوبهم زيغ هم أهل الأهواء كالمعتزلة وغيرهم، وقد حصل في زمن عمر بن الخطاب τ أن رجلًا يقال له: صَبِيغ بن عِسْل، كان يسأل عن المتشابه على وجه يُخشى منه الفتنة، فضربه سيدنا عمر τ ثم نفاه وأمر أن لا يختلط الناس به. الدارمي، **مسند الدارمي**، ص131.

* وسمى الله تعالى المحكمات أمَّ الكتاب، أي: أمَّ القرءان، لأنها الأصل الذي تُردُّ المتشابهات.

* ثم المتشابه قسمان: **أحدهما**: ما لا يعلمه إلا الله، كوجبة القيامة. **والثاني**: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5] فإن الراسخين فسروه بالقهر، لكن لا يقطع بأن مراد الله بالاستواء على العرش القهر إنما يظن ظنًّا راجحًا.

* فالمذمومون الذين ذمهم الله في القرءان بقوله: {فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ} [ءال عمران: 7] هم الذين يحاولون تحديد وقت قيام الساعة وخروج الدجال، والذين يحاولون تفسير القسم الآخر من المتشابه على وجه فاسد كالتشبيه، فكلا الفريقين مذموم.

* فالتأويل إذا كان على الوجه السائغ شرعًا لا يُذمُّ فاعله؛ بل يُمدح، وقد ذكر علماء الأصول أن التأويل أي إخراج النص عن ظاهره، لا يسوغ إلا لدليل عقلي قاطع أو سمعي ثابت. وقد ثبت بالأدلة النقلية والعقلية أن الله I يستحيل عليه أن يوصف بالاستقرار أو بالجلوس على العرش، فلذلك كان السلف لا يحملون المتشابه على ظاهره، وكانوا يقولون: «أمرُّوها كما جاءت بلا كيف».اهـ. (البيهقي، **الأسماء والصفات**، ص418) فلو كانوا يحملونها على ظاهرها لقالوا: «بلا تفسير»، لأن تفسير ظاهرها حينئذٍ معروف ومعلوم، وهو الاستقرار والعلو الحسي، وكلاهما يجب تنزيه الله عنهما، فاكتفوا بالإيمان بها وحملها على معنى يليق بالله I.

* أما المذموم فهو صرف اللفظ عن ظاهره بلا دليل نقلي أو عقلي؛ بل هو عَبَث لا يجوز في كلام الله Y ولا في كلام نبيّه ﷺ، كما قال الرازي في «**المحصول**»، 4،427، 428.

* وإطلاق الوهابية قولهم: «التأويل تعطيل وزيغ» باطل، كيف وقد ثبت التأويل عن السلف الصالح، ثم إن الوهابية يناقضون أنفسهم، فهذا الذم راجع عليهم، لأنهم يؤولون الآيات التي توهم أن الله في جهة تحت، أما الآيات التي توهم أن الله في جهة فوق فيتركون تأويلها.

* فقوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5]، وقوله: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [فاطر: 10] لا بد من تأويلهما وردّهما إلى الآيات المحكمات، ولا يجوز ترك التأويل والحمل على الظاهر، لأنه يلزم من ذلك ضرب القرءان بعضه ببعض، وذلك لأن ظاهر قوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5] وقوله: {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [فاطر: 10] يوهم تحيز الله في جهة فوق، وقوله تعالى: {وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ} [البقرة: 115] ظاهره أن الله في أفق الأرض، وقوله تعالى في حق إبراهيم υ: {وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ} [الصافات: 99] ظاهره أن الله ساكن فلسطين، لأن إبراهيم υ كان متوجهًا إليها، وهذه الآية ظاهرها أن الله تعالى في جهة تحت.

فإن تركنا هذه الآيات على ظواهرها كان ذلك تناقضًا، ولا يجوز وقوع التناقض في القرءان، فوجب ترك الأخذ بظواهر هذه الآيات، والرجوع إلى آية: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: 11].

* وأما من قال: «جهة فوق تليق بالله وجهة تحت نقص على الله، فلذلك لا نؤوّل الآيات التي تدل ظواهرها على انه في جهة فوق بل نؤول الآيات التي تدل ظواهرها على أنه في جهة تحت».

فالجواب: أن جهة فوق مسكن الملائكة، وكذلك مدار النجوم والشمس والقمر جهة فوق، وليس هؤلاء أفضل من الأنبياء الذين منشؤهم في جهة تحت وحياتهم في جهة تحت إلى أن يموتوا فيدفنوا فيها، ثم إن الملك والسلطان قد يكونان يسكنان في بطن الوادي، وحراسهما يكونون على الأعالي، فهذا القياس الذي تعتبره الوهابية قياسٌ فاسد لا يلتفت إليه إلا من هو ضعيف العقل فاسد الفهم. فمذهب أهل السُّنَّة الأشاعرة والماتريدية هو الصواب السديد الموافق للعقل والنقل.

* وقال أبو نصر القشيري في «التذكرة الشرقية» كما نقل محمد مرتضى الزبيدي في «**أتحاف السادة المتقين**» (108/2): «فإن قيل: أليس الله يقول: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5] فيجب الأخذ بظاهره؟ قلنا: الله يقول أيضًا: {وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ} [الحديد: 4] ويقول: {أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ} [فصلت: 54] فينبغي أيضًا أن نأخذ بظاهر هذه الآيات حتى يكون على العرش وعندنا ومعنا ومحيطًا بالعالم محدقًا به بالذات في حالة واحدة. والواحد يستحيل أن يكون بذاته في حالة واحدة بكل مكان. قالوا: قوله: {وَهُوَ مَعَكُمْ} [الحديد: 4]، يعني: بالعلم، و{بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ} [فصلت: 54] إحاطة العلم، قلنا: وقوله: {عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5] حَفِظَ وقهر وأبقى».اهـ.

* يعني: أنهم قد أولوا هذه الآيات ولم يحملوها على ظواهرها، فكيف يعيبون على غيرهم تأويل آية الاستواء بالقهر؟ فما هذا التحكم؟! فأهل السُّنَّة والجماعة يثبتون لله تعالى الصفات مع التنزيه عن مشابهة الخلق، أثبتوا لله ما أثبت لنفسه مع تنزيهه تعالى عن أن تكون صفاته من لوازم الجسمية، كالجلوس والانتقال والتحيز في جهة من الجهات والتغير والتطور وسائر أمارات الحدوث، فيؤوّلون ءايات الصفات وأحاديث الصفات من المتشابه بترك حملها على الظواهر.

فهنا مسلكان، كل منهما صحيح:

الأول: مسلك السلف وهم أهل القرون الثلاثة الأولى، قرن أتباع التابعين وقرن التابعين وقرن الصحابة وهو قرن الرسول ﷺ، هؤلاء يُسمون السلف، ومن جاؤوا بعد ذلك يُسمون الخلف.

فالغالب على السلف أن يؤولوا الآيات المتشابهة تأويًا إجماليًّا، بالإيمان بها وإمرارها كما جاءت واعتقاد أن لها معنى يليق بجلال الله وعظمته ليست من صفات المخلوقين بلا تعين، كآية {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5] وحديث النزول، بأن يقولوا: «بلا كيف»، أي: من غير أن يكون بهيئة، ومن غير أن يكون كالجلوس والاستقرار والجوارح والطول والعرض والعمق والمساحة والحركة والسكون والانفعال

مما هو صفة حادثة. هذا مسلك السلف، ردوها من حيث الاعتقاد إلى الآيات المحكمة كقوله تعالى: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5] وتركوا تعيين معنى معين لها مع نفي تشبيه الله بخلقه.

* وهو كقول أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي في الوصية: «نُقرّ بأن الله على العرش استوى، من غير أن يكون له حاجة إليه واستقرار عليه، وهو الحافظ للعرش وغير العرش من غير احتياج، فلو كان محتاجًا لما قدر على إيجاد العالم وتدبيره كالمخلوق، ولو كان محتاجًا للجلوس والقرار فقبل خلق العرش أين كان الله تعالى؟ تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا».اهـ. القاري، **منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر**، ص 126، 127.

* وهو كقول الإمام مالك بن أنس τ فيما رواه البيهقي بإسناد جيد من طريق عبد الله بن وهب قال: «كنا عند مالك، فدخل علينا رجل فقال: يا أبا عبد الله {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5] كيف استوى؟ فأطرق مالك، فأخذته الرُّحضاء [العَرَق من أثَر الحُمَّى] ثم رفع رأسه فقال: {الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى} [طه: 5] كما وصف نفسه، ولا يقال كيف؟ وكيف عنه مرفوع، وما أراك إلا صاحب بدعة، أخرجوه».اهـ. البيهقي، **الأسماء والصفات**، ص379.

* وهو كقول الإمام الشافعي τ: «ءامنت بما جاء عن الله على مراد الله، وبما جاء عن رسول الله على مراد رسول الله ﷺ».اهـ. الحصني، **دفع شبه من شبه وتمرد**، ص 86. يعني الشافعي τ لا على ما قد تذهب إليه الأوهام والظنون من المعاني الحسية الجسمية التي لا تجوز في حق الله تعالى.

* وهو كقول الإمام أحمد بن حنبل τ أيضًا: «استوى كما أخبر، لا كما يخطر للبشر».اهـ. ذكره الشيخ أحمد الرفاعي في «**البرهان المؤيد**»، ص 18 .

* والتأويل التفصيلي وإن كان عادة الخلف فقد ثبت أيضًا عن غير واحد من أئمة السلف وأكابرهم كابن عباس من الصحابة ومجاهد تلميذ ابن عباس من التابعين، والإمام أحمد ممن جاء بعدهم، وكذلك البخاري وغيره.

* وأسند البيهقي الأثر المذكور عن ابن عباس بسندين كل منهما حسن. وأما مجاهد فقد روى الحافظ البيهقي عنه في «**الأسماء والصفات**» (ص293) في قوله Y: {فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللهِ} [البقرة: 115]، قال: «قِبلة الله، فأينما كنت في شرق أو غرب فلا توجّهن إلا إليها».اهـ.

* وأما الإمام أحمد فقد روى البيهقي في «مناقب أحمد» أن أحمد بن حنبل تأوّل قول الله تعالى: {وَجَاء رَبُّكَ} [الفجر: 22] أنه جاء ثوابه. ثم قال البيهقي: «وهذا إسناد صحيح لا غبار عليه».اهـ. نقل ذلك ابن كثير في تاريخه «**البداية والنهاية**» (386/14).

* وهذا دليل على أن الإمام أحمد ما كان يعتقد في المجيء الذي ورد به القرءان والنزول الذي وردت به السُّنَّة انتقالًا من مكان إلى مكان، كمجيء ذوات الأجسام ونزولها، وإنما هو عبارة عن ظهور ءايات قدرته. فلو كان الإمام أحمد يعتقد في الله الحركة والسكون والانتقال لترك الآية على ظاهرها، وحملها على المجيء بمعنى التنقل من علو إلى سفل كمجيء الملائكة، وما فاه بهذا التأويل. أما ابن تيمية وأتباعه فيثبتون اعتقادًا التحيز لله في المكان والجسمية، ويقولون لفظًا ما يموهون به على الناس ليُظنَّ بهم أنهم منزهون لله عن مشابهة المخلوق، فتارة يقولون: بلا كيف كما قالت الأئمة، وتارة يقولون: على ما يليق بالله، وانظر كلام ابن تيمية في ادّعاء أن السلف لا أثبتوا لله الجهة ولا نفوا عنه ذلك. ابن تيمية، الكتاب المسمّى **منهاج السُّنَّة النبوية**، 322/2.

* وفي صحيح البخاري (كتاب التفسير، باب تفسير سورة القصص، 1787/4 عند قوله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص: 88]، قال البخاري: «إلا مُلكه». اهـ. ويقال: إلا ما أُريد به وجه الله. وفي كتاب المناقب، باب قول الله Y: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} [الحشر: 9]، وفيه أن رسول الله ﷺ قال: «**ضحكَ اللهُ الليلةَ**» أو «**عَجِبَ مِن فِعالِكما**»، قال ابن حجر العسقلاني: «ونسبة الضحك والتعجب إلى الله مجازية، والمراد بهما الرضا بصنيعهما».اهـ. ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**، 11 / 226.

* وأوّل البخاري الضحك الوارد في الحديث بالرحمة، نقل ذلك عنه الخطابي، وقال: «وتأويله على معنى الرضا أقرب».اهـ. البيهقي، **الأسماء والصفات**، ص433.

وأوّل البخاري في صحيحه (كتاب التفسير، باب تفسير سورة هود، 1724/4 الآية: «{ءَاخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا} [هود: 56] بقوله: «أي في ملكه وسلطانه».اهـ. أوّل الأخذ بناصية الدواب بالتصرف بالملك والسلطان، لأن المعنى الظاهر لا يليق بالله، وهو إمساك نواصي الدواب بالجس واللمس، فالله لا يَجُسُّ ولا يَمَسُّ ولا يُجَسُّ ولا يُمَسُّ.

* **الثاني**: مسلك الخلف: وهم يؤوّلونها تأويلًا تفصيليًّا بتعيين معانٍ لها مما تقتضيه لغة العرب، ولا يحملونها على ظواهرها أيضًا كالسلف، فالسلف والخلف متفقان على عدم الحمل على الظاهر، هؤلاء بيّنوا بقولهم: «بلا كيف»، وأولئك قالوا: «استوى أي قهر» (ومن قال: «استولى» فالمعنى واحد، أي قهر). وكلا الفريقين لا يحمل الاستواء على الظاهر لكن هؤلاء عيّنوا معنى وهم الخلف، وأولئك لم يعيّنوا إنما قالوا: «بلا كيف» وهم السلف.

* ولا بأس بسلوك مسلك الخلف، ولا سيما عند الخوف من تزلزل العقيدة، حفظًا من التشبيه، مثل قوله تعالى في توبيخ إبليس: {مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِيَّ} [ص: 75]. فيجوز أن يقال: المراد باليدين العناية والحفظ، هذا تأويل تفصيلي ذهب إليه بعض الخلف، فدل قوله تعالى: {بِيَدِيَّ} [ص: 75] على أن ءادم خُلق مُشرَّفًا مُكرَّمًا بخلاف إبليس، ولا يجوز أن نحمل كلمة {بِيَدِيَّ} [ص: 75] على معنى الجارحة، فلو كانت له جارحة لكان مثلنا، ولو كان مثلنا لما استطاع أن يخلقنا.

والحكمة من الآيات المتشابهة أن يبتلي اللهُ عباده حتى يكون للذي يحملها على محملها أجر عظيم.

* ورد التأويل عن ابن العربي، فقد نقل الزرقاني في شرحه على الموطأ (384/1) عن أبي بكر بن العربي أنه قال في حديث: «**ينزلُ ربُّنا**»: «النزول راجع إلى أفعاله لا إلى ذاته؛ بل ذلك عبارة عن مَلَكِهِ الذي ينزل بأمره ونهيه».اهـ.

وقد بيّن أبو نصر القشري رحمه الله الشناعة التي تلزم نفاة التأويل، وذلك فيا نقله عنه المحدث الفقيه الحنفي مرتضى الزبيدي في شرحه المسمّى «**إتحاف السادة المتقن**» عن كتاب التذكرة (110/2، 111): «وسِرُّ الأمر أن هؤلاء الذين يمتنعون عن التأويل معتقدون حقيقة التشبيه، غير أنهم يدلّسون ويقولون: له يد لا كالأيدي، وقدمٌ لا كالأقدام، واستواء بالذات لا كما نعقل فيما بيننا. فليقل المُحقق: هذا كلام لا بد من استبيان، قولكم: «نجري الأمر على الظاهر ولا يعقل معناه» تناقض إن أجريت على الظاهر فظاهر السياق في قوله تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ} [القلم: 42] هو العضو المشتمل على الجلد واللحم والعظم والعصب والمخ، فإن أخذت بهذا الظاهر والتزمت بالإقرار بهذه الأعضاء فهو الكفر [ومعنى الآية، أي: يكشف يوم القيامة عن شدة شديدة وهول شديد، أي: عن أمر بالغ في الصعوبة، أما المشبهة فيقولون: إن الله يكشف عن ساقه]، وإن لم يمكنك الأخذ بها [أي: إن كنت لا تقول ذلك] فأين الأخذ بالظاهر؟! ألست قد تركت الظاهر وعلمت تقدسَ الرب تعالى عما يوهم الظاهر؟! فكيف يكون أخذًا بالظاهر؟!».اهـ. ثم قال: «وفي لغة العرب ما شئت من التجوُّز والتوسُّع في الخطاب، وكانوا يعرفون موارد الكلام ويفهمون المقاصد. فمن تجافى عن التأويل فذلك لقلة فهمه بالعربية [أي: من ترك التأويل التفصيلي والإجمالي وتمسَّك بالظاهر هلك وخرج عن عقيدة المسلمين]، ومن أحاط بطرق من العربية هان عليه مَدرك الحقائق. وقد قيل: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} [ءال عمران: 7] فكأنه قال: الراسخون في العلم أيضًا يعلمونه ويقولون: آمنا به [على قراءة ترك الوقف على لفظ الجلالة: يعلمون، ومع هذا يقولون: { آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا} [ءال عمران: 7]، أي: المحكمات من عند الله والمتشابهات من عند الله، فالراسخون يعلمون أيضًا معنى المتشابه الذي ليس علمه خاصًّا بالله]، فإن الإيمان بالشيء إنما يُتصوَّر بعد العلم، أما ما لا يُعلم فالإيمان به غير متأتٍّ، ولهذا قال ابن عباس: أنا من الراسخين في العلم».اهـ. نقل هذا الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أنا من الراسخين في العلم، أنا ممن يعلم تأويله».اهـ. السيوطي، **الدر المنثور**، 152/2.

* فتبين أن قول من يقول: «إن التأويل غير جائز» خبط وجهل، وهو محجوج بقوله ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**اللَّهمَّ علِّمْهُ الحكمةَ وتأويلَ الكتابِ**». ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، (المقدمة، فضل ابن عباس، 1/ 58). فلو كان التأويل غير جائز فهذا يعني أن الرسول ﷺ – على زعم الوهابية – دعا بدعاء غير جائز، ولا شك أن الله استجاب دعاء الرسول ﷺ.

.....

* أنكر ابن تيمية المجاز فقال في كتابه المسمّى «الإيمان» (ص 95): «فهذا بتقدير أن يكون في اللغة مجاز، فلا مجاز في القرءان؛ بل وتقسيم اللغة إلى حقيقة ومجاز تقسيم مبتدع محدث لم ينطق به السلف، والخلف فيه على قولين، وليس النزاع فيه لفظيًّا؛ بل يقال: نفس هذا التقسيم باطل، لا يتميز هذا عن هذا».اهـ.

الجواب: إن المجاز ثابت عن الصحابة، فقد جاء عن ابن عباس ﷺ حيث استند في تفسير بعض الآيات إلى بعض أشعار العرب التي ألفاظها بعيدة من المعنى الأصلي، كتفسيره الساق في قوله تعالى: {يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ} [القلم: 42] بالشدة فقال: «عن شدة من الأمر، والعرب تقول: قامت الحرب على ساق إذا اشتدت، وفيه: [الرجز]

قد سنَّ أصحابُكَ ضربَ الأعناقْ وقامتِ الحربُ بنا على ساقْ»

اهـ.

* وقد أسند البيهقي الأثر المذكور عن ابن عباس ﷺ بسندين كل منها حسن، وزاد نقلًا عن ابن عباس ﷺ: «إذا خفي عليكم شيء من القرءان فابتغوه من الشعر فإنه ديوان العرب».اهـ. البيهقي، **الأسماء والصفات**، ص 325. وهذا هو عين المجاز. وكذا أثبت المجاز عن السلف المحدثُ اللغوي أبو عبيدة معمر بن المثنى، فقد صنَّف كتاب «المجاز».

* وليس من شرط المجاز أن يكون كل أئمة السلف عبّروا بهذا اللفظ؛ بل العبرة بالمعنى، والمجاز هو اللفظ المستعمل في غير حقيقته بمعنى يقتضي ذلك، فكلمة الساق معناها الأصلي بعيد جدًّا من المعنى الذي فسر ابن عباس ﷺ الآية، لكن أساليب لغة العرب لا تأبى ذلك؛ بل توافق، فكثيرًا ما ينقلون اللفظ من معناه الأصلي إلى غيره.

وما دفع ابن تيمية إلى إنكار المجاز إلا شدة تعلقه بعقيدة التشبيه، وما إنكاره المجاز إلا محاولة منه لإجراء النصوص المتشابهة على ظاهرها، نسأل الله السلامة.

* لا يخالف تقسيم الآيات إلى محكم ومتشابه قوله تعالى: {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ ءَايَاتُهُ} [هود: 1] وقوله: {كِتَابًا مُّتَشَابِهًا} [الزمر: 23]، لأن المراد بإحكامه إتقانه وعدم تطرق النقص والاختلاف إليه، وبتشابهه كونه يشبه بعضه بعضًا في الحق والصدق والإعجاز.

قال تعالى: {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ} [ءال عمران: 7].

الحديث: دعاء النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**اللَّهُمَّ علِّمْهُ الحكمةَ وتأويلَ الكتابِ**». ابن ماجه، **سنن ابن ماجه**، (المقدمة، فضل ابن عباس، 58/1).

س □: ما الدليل على أن الإيمان شرط لقبول الأعمال الصالحة؟

قال تعالى: {وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ[1] فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا} [النساء: ﷺ □].

الحديث: «**أفضلُ الأعمالِ[2] إيمانٌ باللهِ ورسولِهِ**». البخاري، **صحيح البخاري** (كتاب الإيمان، باب من قال إن الإيمان هو العمل، (16/1).

1() شرطه أن يكون على الإيمان، وهكذا في مواضع كثيرة في كتاب الله تعالى فالشرط الأساس لقبول العمل الصالح عند الله الإيمان.

2() المراد به العمل القلبي، فالإيمان بالله ورسوله أعلى الواجبات وأفضلها عند الله تعالى، وهو شرط لقبول الأعمال الصالحة، فمن لم يؤمن بالله ورسوله فلا ثواب له أبدًا في الآخرة، وأما الكافر فيُجازى في الدنيا على صور أعماله الحسنة بالمال والصحة والولد، ولكنه في الآخرة مفلس من الحسنات.

س □: ما معنى قوله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص: □]؟

قال الإمام البخاري في الصحيح (كتاب التفسير، باب تفسير سورة القصص، ﷺ/ □ □) في قوله تعالى: {إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص: □]: «إلا ملكه».اهـ. وقال الإمام سفيان الثوري: «إلا ما أريد به وجه الله».اهـ. أي: الأعمال الصالحة[1].

1() السيوطي، **الدر المنثور**، 447/6.

* إن قال المشبّه: إن استواء الله على العرش جلوس لكن لا كجلوسنا. ويستشهدون لذلك بقول بعض الأئمة: «لله وجه لا كوجوهنا، ويد لا كأيدينا، وعين لا كأعيننا». الجواب عنه: الجلوس في لغة العرب لا يكون إلا من صفات الأجسام، فالعرب لا تطلق الجلوس إلا على اتصال جسم بجسم، على أن يكون أحد الجسمين له نصفان نصف أعلى ونصف أسفل، وليس للجلوس في لغة العرب معنى إلا هذا، وهم في هذا أثبتوا الجسمية لله، ولا يجوز ذلك على الله، لأنه لو كان كذلك لكان له أمثال لا تحصى، فالجلوس يشترك فيه الإنسان والجن والملائكة والبقر والكلب والقرد والحشرات، وإن اختلفت صفات جلوسهم. ويقال لهم: أما الوجه واليد والعين فليست كذلك، فإن الوجه في لغة العرب يطلق على الجسم وغير الجسم. والوجه بمعنى الجسم هو هذا الجزء الذي هو مركب في ابن ءادم وفي سائر ذوات الأرواح.

* وأما معنى الوجه الذي هو غير هذا الجزء في لغة العرب، فمنه:

1- الملك. كما فسر البخاري في صحيحه (كتاب التفسير، باب تفسير سورة القصص، 1787/4)، أول سورة القصص، قوله تعالى: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص: 88]: قال: «إلا ملكه».اهـ. بينما المشبهة عكفوا على تفسيرها بظواهرها وحرّموا التأويل الذي سلكه بعض السلف وكثير من الخلف، فوقعوا في الخزي، فبتفسيرهم الوجه المضاف إلى الله في الكتاب والسُّنَّة على الحجم وقع بعضهم في أبشع الكفر، وذلك مثل ما وقع لبيان بن سمعان التميمي من حمل الوجه المذكور في ءاية: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص: 88] على الجسم، فقال: الله شيء أي موجود، والعالم شيء أي موجود، فإذًا الله يفنى إلا وجهه، والعالم يفنى كله يوم القيامة، وذلك لأنه لما استثنى الوجه في الآية فهم أن الله يفنى ويبقى منه وجهه الذي هو الجزء المركب على أعلى البدن. تعالى الله عن ذلك، وكان بيان هذا له طائفة تنسب إليه يقال لهم «البيانية»، كما يقال للوهابية «الوهابية» نسبة إلى محمد بن عبد الوهاب.

2- ما يُقرّب إلى الله من الأعمال: كالصلاة والصيام وسائر الأعمال الصالحة، كما في حديث: «**وإنَّها لا تكونُ** [المرأةُ] **إلى وجهِ اللهِ أقربَ منها في قَعْرِ بيتِها**». والحديث ثابت أخرجه ابن حبّان في صحيحه، (كتاب الحظر والإباحة، ذكر الإخبار عما يجب على المرأة من لزوم قعر بيتها، 347/6).

ماذا تقول الوهابية فيه؟! فهل هنا يؤوّلون الوجه أم يتركونه على الظاهر؟! فإن أوّلوا بما أوّل به السلف كان ذلك موافقة للسلف ونقضًا لمذهبهم بمنع التأويل، وإن أوّلوه بالذات فقد نقضوا اعتقادهم بأن الله فوق العرش، لأنه يلزم على هذا بأن الله قريب إلى المرأة بالمسافة، فماذا يصنعون، وهذا إلزام لا مهرب منه.

3- الذات: والذات بالنسبة إلى المخلوقين الجِرْم الكثيف أو اللطيف كحجم الإنسان وحجم النور والريح، هذا معنى الذات في المخلوق، أما الذات إذا أضيف إلى الله فمعناه حقيقته، لا بمعنى الحجم الكثيف أو اللطيف.

* وأما اليد فلها في لغة العرب معانٍ: منها: ما هو أجرام وأجسام، ومنها ما هو غير الأجرام، فاليد تأتي بمعنى الجارحة التي هي مركبة في الإنسان وفي البهائم، وتأتي بمعنى غير الجِرْم كالقوة كما في قوله تعالى: { وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ} [الذاريات: 47]. وتأتي بمعنى العهد كما في قوله تعالى: {يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح: 10].

.....

* وأما العين فتطلق في لغة العرب على الجِرْم كعين الإنسان والحيوانات، وتطلق على الذهب والجاسوس والماء النابع، والحفظ. وبهذا بان الفرق بين الجلوس وبين الوجه واليد والعين، فلما كانت هذه الألفاظ الثلاثة واردة في القرءان مضافة إلى الله كان لها معانٍ غير الجسم وصفات الجسم، أراد أبو حنيفة وغيره من الذين أطلقوا هذه العبارة: «لله وجه لا كوجوهنا، ويد لا كأيدينا، وعين لا كأعيننا» معاني هذه الألفاظ الثلاثة التي هي غير الجسم ولا هي صفة جسم مما يليق بالله، كالقوة والمُلْك والذات والحفظ، كما قال المفسرون في تفسير قوله تعالى: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} [طه: 39]: على حفظي.

س50: ما معنى قوله تعالى: {ءَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ} [الملك: 16]؟

المراد بمن في السماء الملائكة، وليس المراد أن الله ساكن في السماء، كما قال المفسرون المحققون[1].

1() على تفسير: المراد بهم الملائكة، جبريل υ بريشة واحدة اقتلع المدن الأربعة التي كانت لقوم لوط ورفعها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح الكلاب، ونهيق الحمير، ثم قلَبَها، أي: جعل أعاليها أسافلها، ثم ردَّها إلى الأرض.

وتفسير ءاخر: أَأَمِنْتُمْ مَن له الألوهية والسلطان في السماء. كقوله: {وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ} [الزخرف: 84]، معناه: إلهُ مَن في السماء وإلهُ مَن في الأرض أو له السلطان في السماء، وله السلطان في الأرض. أو المعبود من قِبَل أهل السماء الذين هم الملائكة، والمؤمنين من أهل الأرض. وكقوله تعالى: {وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} [ءال عمران: 109]، وكقوله: {وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ} [ءال عمران: 189]. الفخر الرازي، تفسير الفخر الرازي، 30 / 69.

* تنزيه الله عن المكان وتصحيح وجوده بلا مكان عقلًا:

الله تعالى غني عن العالمين، أي: مستغنٍ عن كل ما سواه أزلًا وأبدًا، فلا يحتاج إلى مكان يتحيز فيه أو شيء يحُلُّ به أو إلى جهة، لأنه ليس كشيء من الأشياء، ليس حجمًا كثيفًا ولا حجمًا لطيفًا، والتحيز من صفات الجسم الكثيف واللطيف، فالجسم الكثيف والجسم اللطيف متحيز في جهة ومكان، قال الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [الأنبياء: 33] فأثبت الله تعالى لكل من الأربعة التحيز في فَلَكه، وهو المَدار.

ويكفي في تنزيه الله عن المكان والحيز والجهة قوله تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} [الشورى: 11] لأنه لو كان له مكان لكان له أمثال وأبعاد طول وعرض وعمق، ومن كان كذلك كان محدَثًا محتاجًا لمن حدَّه بهذا الطول وبهذا العرض وبهذا العمق؛ هذا الدليل من القرءان. أما من الحديث فما رواه البخاري في الصحيح (كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في قول الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم: ٢٧]، 3/ 789) بالإسناد الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «**كان اللهُ ولم يكن شيءٌ غيرُهُ**». ومعناه: أن الله لم يزل موجودًا في الأزل ليس معه غيره، لا ماء ولا هواء ولا أرض ولا سماء ولا كرسي ولا عرش ولا إنس ولا جن ولا ملائكة ولا زمان ولا مكان ولا جهات، فهو الله تعالى موجود قبل المكان بلا مكان، وهو الذي خلق المكان فليس بحاجة إليه، وهذا ما يستفاد من الحديث المذكور. وليس محور الاعتقاد على الوهم؛ بل على ما يقتضيه العقل الصحيح السليم الذي هو شاهد للشرع، وذلك أن المحدود محتاج إلى من حدَّه بذلك الحد فلا يكون إلهًا. فكما صح وجود الله تعالى بلا مكان وجهة قبل خلق الأماكن والجهات، فكذلك يصح وجوده بعد خلق الأماكن بلا مكان وجهة، وهذا لا يكون نفيًا لوجوده تعالى كما زعمت المشبهة والوهابية، وهم الدعاة إلى التجسيم في هذا العصر. وحكم من يقول: «إن الله تعالى في كل مكان أو في جميع الأماكن» التكفير إذا كان يفهم من هذه العبارة أن الله بذاته مُنبثّ أو حالّ في الأماكن، أما إذا كان يفهم من هذه العبارة أنه تعالى مسيطر على كل شيء، وعالم بكل شيء فلا يكفر، وهذا قصد كثير ممن يلهج بهاتين الكلمتين، ويجب النهي عنهما على كل حال، لأنهما ليستا صادرتين عن السلف؛ بل عن المعتزلة، ثم استعملهما جهلة العوام.

* ونرفع الأيدي في الدعاء للسماء لأنها مهبط الرحمات والبركات، وليس لأن الله موجود بذاته في السماء، كما أننا نستقبل الكعبة الشريفة في الصلاة لأن الله تعالى أمرنا بذلك، وليس لأن لها ميزة وخصوصية بسُكنى الله فيها. ويكفر من يعتقد التحيز لله تعالى، أو يعتقد أن الله شيء كالهواء أو كالنور يملأ مكانًا أو غرفة أو مسجدًا. ويُردّ على المعتقدين أن الله متحيز في جهة العلو لأن الأيدي تُرفع عند الدعاء إلى السماء، بما ثبت عن الرسول ﷺ أنه استسقى أي طلب المطر، وجعل بطن كفيه إلى الأرض وظاهرهما إلى السماء، (مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء، 612/2) وبأنه ﷺ نهى المصلي أن يرفع رأسه إلى السماء، (مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب الصلاة، باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة، 1/ 321) ولو كان الله متحيزًا في جهة العلو كما تظن المشبهة

.....

ما نهانا عن رفع أبصارنا في الصلاة إلى السماء، وبأنه ﷺ كان يرفع إصبعه المُسبِّحة عند قول: «إلا الله» في التحيات ويحنيها قليلًا، فلو كان الأمر كما تقول المشبهة ما كان يحنيها؛ بل يرفعها إلى السماء، وكل هذا ثابت في الحديث عند المحدّثين. فماذا تفعل المشبهة والوهابية؟

* ونسمّي المساجد «بيوت الله» لا لأن الله يسكنها؛ بل لأنها أماكن معدَّة لذِكْر الله وعبادته، ويقال في العرش إنه جِرْم أعدَّه الله ليطوف به الملائكة كما يطوف المؤمنون في الأرض بالكعبة.

* الحمد لله أن بصَّرَنا معاشر أهل السُّنَّة والجماعة بهذا التنزيه الموافق لِما كان عليه الصحابة ﷺ، فمن أدل دليل على موافقتنا للصحابة في عدم اعتقادنا لِما توهمه ظواهر بعض النصوص ما جاء عن ابن عباس ﷺ بإسناد صحيح موقوف عليه: «**تَفكَّروا في كلِّ شيءٍ، ولا تَفكَّروا في ذاتِ اللهِ** ». البيهقي، **الأسماء والصفات**، ص 271. فإنه لو كان فهمه لتلك النصوص على حسب الظواهر لم يكن للنهي عن التفكر في الذات معنى، ولو كان الصواب ما تفهمه الوهابية من تلك النصوص لم يكن لقول السلف: «أمرُّوها كما جاءت بلا كيف» معنى، ولم يكن لانزعاج مالك τ حين سُئل عن كيفيَّة الاستواء حتى أخذته الرُّحضاء وإطراقه معنى.

س51: ما معنى قوله تعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} [الذاريات: 47]؟

قال ابن عباس: {**بِأَيْدٍ**} [الذاريات: 47]، أي: بقدرة[1]، وليس المقصود باليد هنا اليد الجارحة التي لنا، فإن الله منزَّه عن ذلك.

1() قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} [الذاريات: 58]، أي: ذو القدرة، فلا يجوز تسمية الله «قوة» كما فعل سيد قطب، وكأنه اقتدى بكلام بعض الملاحدة الذين يقولون: «إن العالم قوة مدبِّرة»، ويعنون أن الله هو هذه القوة، ولعل هذا مما اكتسبه منهم حين كان مع الشيوعية إحدى عشرة سنة، كما ذكر اعترافه في كتاب «لماذا أعدموني»، وكذلك تسمية سيد قطب لله بالعقل المدبر، لأن العقل صفة من صفات البشر والجن والملائكة، وهذه التسمية تدخل تحت قول الإمام أبي جعفر الطحاوي في كتابه الذي ألَّفه لبيان ما عليه أهل السُّنَّة: «ومن وصف الله بمعنى من معاني البشر فقد كفر».اهـ. الطحاوي، العقيدة الطحاوية، ص13.

* وكذلك ما وُجد في كتاب لمؤلف معاصر من تسمية الله بالعلة الكبرى والسبب الأول والواسطة، والمصدر والمنبع وذلك نوع من الإلحاد، كما صرّح الإمام ركن الإسلام علي السُّغْدِي أن من سمَّى الله علة أو سببًا كفر. كما نقله عنه الحافظ محمد مرتضى الزبيدي في **الإتحاف** (163/2).

* وقال النسفي في تفسيره (620/1) عند قوله تعالى: {وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} [الأعراف: 180]: «ومن الإلحاد تسميته بالجسم والجوهر والعقل والعلة».اهـ.

* وقال الشيخ عبد الكريم الرفاعي في كتابه «المعرفة» (ص68): «وفعل الله I هو فعل بالاختيار، إن شاء فعل وإن لم يشأ لم يفعل، ولا يصح أن يكون الله تعالى علة لوجود شئت أو طبيعة، لأن معلول العلة ومطبوع الطبيعة لا يكون إلا معها».اهـ.

* ويكفي في الزجر عن ذلك قول الله تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ} [الأعراف:180]، فمذهب أهل السُّنَّة أن السبب والمسبَّب خَلْق لله تعالى، وتسمية الله بالعلة أشد قبحًا من تسميته بالسبب، لأن العلة في اللغة التغير، والله أزلي أبدي ذاتًا وصفات، فما أبعد هذا الكلام من كلام من مارس كتب عقائد أهل السُّنَّة والجماعة! فحاله كحال من لم يُعرّج عليها بالمرة.

* قوله تعالى: {وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي} [طه: 39]، أي: على حفظي، وقوله تعالى: «تجري بأعيننا»، بمعنى: الحفظ.

* واليد تأتي بمعنى العهد كما في قوله تعالى: {يَدُ اللهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ} [الفتح: 10]، أي: عهد الله فوق عهودهم، أي: ثبت عليهم عهد الله، لأن معاهدتهم للرسول ﷺ تحت شجرة الرضوان في الحديبية على أن لا يفروا هي معاهدة لله تبارك وتعالى، لأن الله تعالى هو الذي أمر نبيّه ﷺ بهذه المبايعة.

وأما قوله تعالى: {بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ} [المائدة: 64]، فمعناه: غني واسع الكرم.

* والله تعالى يغضب ويرضى لا كأحد من الورى، كما نطق به القرءان بقوله تعالى: {رَّضِيَ اللهُ عَنْهُمْ} [البينة: 8] وفي حق الكفار {وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ} [الفتح: 6]، أي: بلا كيف، هكذا كان السلف يختصرون العبارة.

* وأوّل الخلف وبعض السلف رضا الله قالوا: رضاه إرادته الرحمة، وغضبه إرادته الانتقام، أرجعوا الصفتين إلى الإرادة، وكلا القولين صحيح. وليست رحمته رقة القلب.

الخاتمة

أسبغ الله النعمة علينا بإرسال الأنبياء وإنزال الكتب، وموهبة العقل السليم، ورضي لنا عقيدة الإسلام سبيلًا للخلاص والفوز بجنة الخلد إلى ما لا نهاية.

وهذه الدنيا كيفما تلوَّنت خياراتها وتعدّدت مساراتها هي صراع بين الحق والباطل، بين الطيّب والخبيث، بين أتباع الأنبياء الدّاعين إلى صراط مستقيم وأتباع الشياطين الضالّين الدّاعين إلى عذاب الجحيم.

وعقيدة الإسلام تناسب الفطرة السليمة والعقول القويمة، ولا تضادّ مصالح الإنسان وسعادته؛ بل كانت وتبقى مجالًا لفهم حقيقة دعوة الأنبياء المصطفَين المرسلين من عند الله، هدايةً للبشر لِما فيه خير الحياتين في الدارين.

نسأل الله أن يثبّتنا على عقيدة كل الأنبياء الإسلام، ويجمعنا بهم في دار السلام، وأن يلهمنا ما فيه الصواب والرشاد، وما ينفع البلاد والعباد، إن الله على كل شيء قدير، وبعباده لطيف خبير.

وءاخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله، وعلى ءاله وصحبه الطيبين الطاهرين.